قصص علمتني الحياة

الجزء الثالث

إعداد

محسن جبار



شكر وإهداء

حينما نعبر بحر العمل الدؤوب، لا يبقى في داخلنا سوى أولئك الذين غرسوا زهراً جميلاً في طريقنا؛ أولئك الذين منحونا العزم تلو العزم، لنتخطى الصعاب، ونقف واثقي الخطا نشاطرهم الإبداع حرفاً ولغة.

لا يسع حروفي ألا تمتزج لتكون كلمات شكر وإهداء لكل من ساهم في كتابة قصة من هذه القصص الرائعة أو رسالة من القلب، ولكل القراء الأعزاء، ولأسرتي الحبيبة، ولكل من ساهم في طباعة هذا الكتاب وتوزيعه وشرائه وقراءته وإهدائه، أقول لكم جميعاً: من القلب أشكركم، وبارك الله في جهودكم وأعمالكم وأعماركم، ودمتم بألف ألف خير، وما التوفيق إلا من عند الله ....

محسن جبار

***

نبذة تعريفية
عن المؤلف
(محسن جبار)

- مؤسس معهد دار السلام للعلاقات العامة وتطوير القدرات الذاتية سنة 2000م.
- مدير مجموعة شركات صناع الإبداع (للإعلان والاستثمار والتدريب).
- رئيس تحرير دليل بغداد الدولي www.ibd-iq.com
- مدير موقع سوق العراق العقاري *www.estateiraq.com*
- مدير موقع دليل المناقصات العراقية www.iraqtd.com
- مدرب معتمد في مهارات الحياة وتطوير القدرات الذاتية والتسويق.
- عضو اتحاد رجال الأعمال العراقيين.
- درب عشرات الشركات على التسويق، ومئات الأشخاص على تطوير القدرات.

للتواصل مع المعد، أو إرسال القصص الشخصية، أو القصص المفيدة، لغرض نشرها في العدد القادم نرجو مراسلتنا على العنوان التالي:

العراق - بغداد

جوال: 009647807707703 / 009647704362152

البريد الإلكتروني

info@ibd-iq.com

salbedaa@gmali.com

daleel_baghdad@yahoo.com

كيف تستفيد من هذا الكتاب؟

1 - يجب أن تكون لديك رغبة قوية للتعلم.

2 - اقرأ كل قصة مرتين قبل الانتقال إلى القصة الأخرى.

3 - حدث بعض الأصدقاء أو الأبناء أو الطلبة بما قرأت من قصص.

4 - عند نهاية كل قصة توقف قليلاً، وفكر في معاني القصة وكيف نطبق دروسها في حياتنا.

5 - ابدأ بممارسة التجارب المفيدة لأصحاب القصص في حياتك العملية حتى تصبح جزءاً من عاداتك.

6 - احتفظ بمفكرة تسجل فيها إنجازاتك في تطبيق هذه التجارب والقصص المفيدة.

7 - اكتب لنا قصصك الحقيقية الناجحة في حياتك العملية، وأرسلها إلينا لكي يستفيد منها القراء.

8 - إذا كان هذا الكتاب مفيداً لك فلا تنسَ أن تخبر الآخرين به أو تهديه لهم لقراءته؛ لكي تستمر الرسالة ولا توضع على الرف، وتذكَّر أن الدالَّ على الخير كفاعله.

***

المقدمة

كلمة من القلب

أعزائي القراء الكرام، أضع بين أيديكم الكريمة الجزء الثالث من كتاب (قصص علمتني الحياة)، وفيه مجموعة رائعة من القصص الواقعية والعملية، فيها المتعة والفائدة، والتشويق والحكمة، بعد النجاح الذي حققه الجزء الأول والثاني، واللذين كان لهما الأثر الكبير في نفوس القراء وعقولهم، وهو ما دفعني إلى إنجاز الجزء الثالث بسرعة؛ لأني أيقنت أن الناس يحبون القراءة، ويحبون العلم، ويسعون إلى المساعدة في عمل كل الخير، وقد اتصلت بي إحدى القارئات وقالت: الحمد لله؛ إن زوجي رجع لقراءة الكتب، واتصلت أخرى وقالت: أنا لم أنم يوم أمس حتى ساعة متأخرة من الليل؛ لأني أردت إتمام الكتاب. واتصل أحد القراء ليشكرنا ويطلب الجزء الآخر. وقال آخر: إن الكتاب قرأه عشرة من أصدقائي، وأبحث عن نسخة أخرى ولم أجدها.

وبدوري أشكر جميع القراء الكرام، وأخص منهم من اتصل بنا، أو أرسل لنا قصة من هذه القصص المنشورة في هذا الجزء، ولكل من ساهم في نشر هذا الكتاب وتوزيعه وإهدائه.

أحبتي القراء الكرام إليكم أكتب هذا الجزء؛ عله يكون قبساً من نور يضيء لكم الطريق ويكون نعم الرفيق. إنه عبارة عن مجموعة قصصية رائعة، والقصص جند من جنود الله، يسخرها لمن يشاء من عباده؛ خاصة القصص ذات العظة والعبرة، فيكون لها الأثر الكبير في النفوس بإذن الله،

كما قال تعالى: {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}. وفي نهاية الكتاب أضفت بعض الرسائل الهادفة، وبعض القواعد العملية لكي نحوِّل ما نقرأ إلى برامج عمل؛ لأن قراءة ألف قصة لا تغنيك عن عمل واحد.

وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب كل من قرأه، وأن يجعل هذا العمل الصالح خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعلها الله في موازين حسناتنا يوم نلقاه.

أمي سامحيني

طلب الابن من أمه أن تعطيه مبلغاً منَ المال خفية عن أبيه، بعد أن استهلك مصروفه الأسبوعي... ولكنها رفضت؛ لعلمها أنه سوف يصرفها فقط على ألعاب الفيديو وشراء الحلويات التي يحبها...

استبد الغضب بالابن لِما رأى من ظلم أصابه..

وفي المساء، عندما كانت الأم في المطَّبخ تعد العشاء، وقف الابن أمامها وسلمها ورقة أعدها مسبقاً..

بعد أن جففت الأم يدها وأمسكت بالورقة، قرأت المكتوب:

1 - سعر تنظيف غرفتي لهذا الأسبوع= 1000دينار.

2 - سعر ذهابي للسوق مكانك=1500 دينار.

3 - سعر اللعب مع أخي الصغير= 2000 دينار.

4 - سعر مساعدتي لكِ في تنظيف البيت= 1500 دينار.

5 - سعر حصُولي على علامات ممتازة في المدرسة=3000 دينار.

والمجموع= 9000 دينار.

«وفّوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه».

نظرت الأم إلى ابنها الواقف بجانبها، ابتسمت بحنان، والتقطت قلماً، وقلبت الورقة وكتبت:

1- سعر تسعة أشهر حملتك بها في أحشائي= بلا مقابل.

2- سعر الحليب الكامل الذي أرضعتك إياه عشرين شهراً= بلا مقابل.

3- سعر تغيير الحفاضات وتنظيفك لست سنوات= بلا مقابل.

4- سعر كل الليالي التي سهرتها بجانبك في مرضك ومن آجل تطبيبك= بلا مقابل.

5- سعر كل التعب والدموع التي سببتها لي طوال السنين= بلا مقابل.

6 - سعر كل الليالي التي شعرت بها بالفزع لأجلك والقلق الذي انتابني= بلا مقابل.

7 - سعر كل الألعاب والطعام والملابس إلى اليوم= بلا مقابل.

يا بني، حين تجمع كل هذا فإن سعر حبي لك= بلا مقابل.

حيين انتهى الابن من قراءة ما كتبته أمه، اغرورقت عيناه بالدموع، ونظر إلى أمه، وقال:

"أمي، سامحيني، أحبك كثيراً".

ثم أخذ القلم وكتب بخط كبير..

"دَيْنٌ لا يمكن رده".

كُنْ مِعْطاء ولا تكن متطلباً.. خصوصاً مع أبويك، فهناك الكثير لتعطيه لهما غير المال...

النصيحة..

إذا كانت أُمُّك على قيد الحياة وقريبة منك..

فقَبِّل رأسها، واطلب منها أن تسامحك..

وإذا كانت بعيدة عنك فاتصل بها..

وإذا كانت متوفاة فادعُ لها الله بالرحمة.

الرياضيات

في إحدى الجامعات، حضر أحد الطلاب محاضرة في مادة الرياضيات، وجلس في آخر القاعة، ثم لم يلبث أن أدركه النوم فنام في مكانه.. وفي نهاية المحاضرة استيقظ على أصوات الطلاب، ونظر إلى السبورة، فوجد أن الدكتور كتب عليها مسألتين، فنقلهما بسرعة، وخرج من القاعة.

وعندما عاد إلى بيته، بدأ يفكر في حل المسألتين.. كانت المسألتان... على درجة عالية من التعقيد والصعوبة، فذهب إلى مكتبة الجامعة، وأخذ المراجع اللازمة.. وبعد أربعة أيام استطاع أن يحل المسألة الأولى فقط، وهو ناقم على معلمه الذي أعطاهم هذا الواجب الصعب.

وفي محاضرة الرياضيات اللاحقة ذهب الطالب إلى أستاذه، وأخبره بأنه لم يستطع سوى حل المسألة الأولى فقط، وأنها استغرقت منه أربعة أيام كي يصل إلى الحل، ويرجوه أن يعطيه مهلة إضافية كي يتوصل إلى حل المسألة الثانية.

تعجب الأستاذ، وأخبر تلميذه بأنه لم يعطهم أي واجب، وأن المسألتين اللتين كتبهما على السبورة هي أمثلة لمسائلَ عَجَز العلم حتى الآن عن حلها.

إن هذه القناعة السلبية جعلت كثيراً من العلماء لا يفكرون حتى في محاولة حل هذه المسألة.. ولو كان هذا الطالب مستيقظاً، واستمع إلى مدرسه، لما تمكن من حل المسألة.

إن قدرات الإنسان لا حدود لها.

الحكمة: لا يوجد صعب أو مستحيل إلا ما تقنع به نفسك أنه كذلك!!

خير إن شاء اللّه

يحكى أن حاكماً متسلطاً كان لديه مستشار حكيم عاقل، وكان هذا المستشار يردد عند
كل حادثة وأمر جملة: «خير إن شاء الله».
وفي مرة كان الحاكم وحاشيته على مائدة الطعام، فأصاب الحاكم أصبعه بالسكين في أثناء التقطيع، وانتثرت دماؤه، فهب إليه الجميع ومعهم المستشار الطيب وهو يردد: «خير إن شاء الله، خير إن شاء الله، خير إن شاء الله».
فغضب عليه الحاكم غضباً شديداً، وقال له: أي خير في أن تقطع السكين أصبعي؟ أنت أحمق، خذوه إلى السجن ليتأدب.
فسحبه الجند وهو يردد: «خير إن شاء الله». فقال الحاكم: هذا الأحمق يقاد إلى السجن ويقول خيرا!! لتقضِ بقية حياتك في السجن حتى تعرف الخير.
وبعد فترة قريبة جاء موسم الصيد، وكان الحاكم يذهب مع حاشيته إلى الغابة لصيد الغزلان، والغزال حيوان حذر وحساس، يتطلب صيده ترقباً وصبراً، كان الحاكم يدخل إلى الغابة وحده برفقة المستشار فقط، ولأن المستشار مسجون، دخل الحاكم ورأى غزالاً بمفرده، وبينما هو يتعمق في الغابة، ويتابع الغزال، تفاجأ برجال من قبيلة متوحشة أمسكوا به وقيدوه وهو يصرخ وينادي، ولا أحد يسمعه؛ لبعده عن الحاشية.
أخذته القبيلة، واتضح أنهم يريدون تجهيزه قرباناً لآلهتهم، واستسلم الحاكم لقدره، وأخذ يبكي ويتذكر أحواله وتسلطه على الناس. وفجأة؛

حدث جدال وخلاف كبير بين أفراد القبيلة، ثم جاؤوا إليه وفكوه، وقالوا: اذهب لا حاجة لنا بك!

فتعجب الحاكم وقال: هل هذه خدعة لتقتلوني وأنا أهرب؟

قالوا: لا، لقد اتضح لنا أن أصبعك مقطوع، وهذا لا يناسب آلهتنا، يجب أن يكون القربان مكتملاً بلا عيب ولا نقص، فذهب الحاكم يركض وهو يبكي ويردد: «خير إن شاء الله»، متذكراً كلام المستشار، وكيف أن قطع أصبعه كان خيراً له فعلاً، وذهب إليه مباشرة في السجن، فأخرجه، وقبَّله، واعتذر منه، وقال له: لقد حصل معي عجب، وأنقذني الله من الموت بأصبعي المقطوع. ولكن أخبرني أيها المستشار أي خير في أن أدخلتك السجن؟

قال: يا مولاي.. ألست أرافقك وحدي دائماً في الغابة؟

قال الحاكم: بلى! فقال المستشار: فإن لم أكن في السجن لأمسكوني معك، ولأطلقوك وقدموني قرباناً، فأنا لا عيب لدي، ولا أصبع مصاب، فضحك الحاكم وتعجب من تقدير الله سبحانه، وقال: الآن أيقنت بأن كل سوء قد يكون وراءه خير لا نعلمه.

التوبة إلى اللّه

كانت فاطمة جالسة حين استقبلت والدتها جارتها التي قدمت لزيارتها، كادت الأم تصعق، وهي ترى ابنتها لا تتحرك من مقعدها، فلا تقوم للترحيب معها بالجارة الطيبة الفاضلة التي بادرت -مع ذلك- إلى بسط يدها لمصافحة فاطمة، لكن فاطمة تجاهلتها، ولم تبسط يدها للجارة الزائرة، وتركتها لحظات واقفة باسطة يدها، أمام ذهول أمها التي لم تملك إلا أن تصرخ فيها: قومي وسلمي على خالتك. ردت فاطمة بنظرات لا مبالية دون أن تتحرك من مقعدها، كأنها لم تسمع كلمات أمها!.

أحست الجارة بحرج شديد تجاه ما فعلته فاطمة ورأت فيها مساً مباشراً بكرامتها، وإهانة لها، فطوت يدها الممدودة، والتفتت تريد العودة إلى بيتها وهي تقول: يبدو أنني زرتكم في وقت غير مناسب!

هنا قفزت فاطمة من مقعدها، وأمسكت بيد الجارة وقبلت رأسها وهي تقول: سامحيني يا خالة، فوالله لم أكن أقصد الإساءة إليك، وأخذت يدها بلطف ورفق ومودة واحترام، ودعتها لتقعد وهي تقول لها: تعلمين يا خالتي كم أحبك وأحترمك؟!

نجحت فاطمة في تطييب خاطر الجارة، ومسح الألم الذي سببته لها بموقفها الغريب، غيرِ المفهوم، بينما أمها تمنع مشاعر الغضب من أن تنفجر في وجه ابنتها.

قامت الجارة مودّعة، فقامت فاطمة على الفور، وهي تمد يدها إليها، وتمسك بيدها الأخرى يد جارتها اليمنى، لتمنعها من أن تمتد إليها وهي تقول: ينبغي أن تبقى يدي ممدودة دون أن تمدي يدك إلي؛ لأدرك قبح ما فعلته تجاهك.

لكن الجارة ضمت فاطمة إلى صدرها، وقبلت رأسها وهي تقول لها: ما عليك يا بنتي.. لقد أقسمت إنك ما قصدت الإساءة.

ما إن غادرت الجارة المنزل حتى قالت الأم لفاطمة في غضب مكتوم: ما الذي دفعك إلى هذا التصرف؟ قالت: أعلم أنني سببت لك الحرج يا أمي فسامحيني.

ردت أمها: تمد إليك يدها وتبقين في مقعدك فلا تقفين لتمدي يدك وتصافحيها؟!

قالت فاطمة: أنت يا أمي تفعلين هذا أيضاً! صاحت أمها: أنا أفعل هذا يا فاطمة؟!

قالت: نعم، تفعلينه في الليل والنهار.

ردت أمها في حِدَّة: وماذا أفعل في الليل والنهار؟ قالت فاطمة: يمد إليك يده فلا تمدين يدك إليه!

صرخت أمها في غضب: من هذا الذي يمد يده إليّ ولا أمد يدي إليه؟ قالت فاطمة: الله يا أمي.. الله سبحانه يبسط يده إليك في النهار لتتوبي.. ويبسط يده إليك في الليل لتتوبي.. وأنت لا تتوبين.. لا تمدين يدك إليه، تعاهدينه على التوبة.

صمتت الأم، وقد أذهلها كلام ابنتها. واصلت فاطمة حديثها: أمَا حزنت يا أمي حينما لم أمد يدي لمصافحة جارتنا، وخشيت من أن تهتز الصورة الحسنة التي تحملها عني؟ أنا يا أمي أحزن كل يوم وأنا أجدك لا تمدين يدك بالتوبة إلى الله سبحانه الذي يبسط يده إليك بالليل والنهار.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «**إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل**

حتى تطلع الشمس من مغربها»[1]، فهل رأيت يا أمي، ربنا يبسط إليك يده في كل يوم مرتين، وأنت تقبضين يدك عنه، ولا تبسطينها إليه بالتوبة!

اغرورقت عينا الأم بالدموع.

واصلت فاطمة حديثها وقد زادت عذوبته: أخاف عليك يا أمي وأنت لا تصلِّين، وأول ما تحاسبين عليه يوم القيامة الصلاة، وأحزن وأنا أراك تخرجين من البيت دون الخمار الذي أمرك به الله سبحانه، ألم تُحرجي من تصرفي تجاه جارتنا؟ أنا يا أمي أحرج أما صديقاتي حين يسألنني عن سفورك، وتبرجك، بينما أنا محجبة!.

سالت دموع التوبة مدراراً على خدَّي الأم، وشاركتها ابنتها، فاندفعت الدموع غزيرة من عينيها، ثم قامت إلى أمها التي احتضنتها في حنو بالغ، وهي تردد: « تُبْتُ إليك يا رب.. تبت إليك يارب.

قال تعالى: ﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ [آل عمران: 135]، لقد رآك الله وأنت تقرأ هذه الكلمات، ويرى ما يدور في قلبك الآن، وينتظر توبتك، فلا يراك حبيبُك الله إلا تائباً، خاصة أننا في صحة وسلامة، وموسم كريم، قد غلقت فيه أبواب العذاب، وفتحت فيه أبواب الرحمة، وهو فرصة عظيمة للعودة إلى الله، وقد لا تتكرر هذه الفرصة مرة أخرى، فيأتي العام القادم وأنت في عداد من قد مات، والله المستعان.

فعسى أن تكون في هذه القصة عبرة لك تكون باب خير للدعوة إلى التوبة إلى الله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(1) رواه مسلم.

العراقي الذي صار أميراً في النرويج

هذه قصة حقيقية لعالم عراقي مغترب.. سجلَتها جريدة (المستقبل العراقي) بحوارها المباشر معه.

تتحدث القصة عن النجاح المرموق الذي حققه هذا العالم الكبير البسيط المتواضع، وكيف ارتقى بمستوى السياسة النفطية النرويجية نحو الأفضل، وحقق للنرويج حلمها النفطي في بحر الشمال، فانتشل سفينتها الاقتصادية من الغرق المحتوم، حتى صار بطلاً قومياً ورمزاً وطنياً في الحكايات الشعبية، فاستحق أعلى المناصب ونال أرفع المراتب.

توجتهُ الصحافة الاقتصادية العالمية أميراً في المملكة النرويجية، فكانت أوسمة الإمارة دون استحقاقاته الأكاديمية، لم يكن يفكر بالأوسمة ولا بالإمارة، فليست الألقاب هي التي تكسب المجد، بل العلماء من يكسبون الألقاب مجداً بما يحملونه من مواهب وقدرات عقلية وإبداعية..

لم يخطر على باله أنه سيغادر مرافئ شط العرب، ويرحل بعيداً عن البصرة ليرمي مرساته في بحر الشمال عند مقتربات المنصات النفطية العملاقة، بيد إن الرياح هي التي جرت بما لا تشتهي السفن، فغيرت اتجاهات بوصلته صوب الشمال (Northward)، أو (Nor-Way)، أو (Norway)، أو (النرويج)، فحمل معه براءة أهل البصرة وعذوبتهم الساحرة في التعامل العفوي مع الناس، من دون أن يلجأ إلى التكلف ولا التصنع، فاستقبلته مرافئ النرويج، وكلفته بمهمة تقييم التنقيب في بحرها الإقليمي، فكان أول من تنبأ باكتشاف الحقول المختبئة في القاع السحيق..

كان الخبير النفطي العراقي (فاروق القاسم) هو طائر السعد الذي حلق في سماء (أوسلو) ليحمل معه الأخبار السارة، ويضيف الملامح السعيدة إلى الوجوه المشرقة الطافحة بالنضارة والجمال، فاكتملت الصورة بالماء والخضراء والثروات النفطية المتدفقة من قاع البحر..

وإليكم الحكاية التي سنختصرها هنا، والتي صارت من الحكايات الشعبية الاسكندنافية، أما بطلها فهو السندباد الجيولوجي، الذي منح الاقتصاد النرويجي شحنات إضافية، ووضع المملكة النرويجية في طليعة الأقطار الأوربية النفطية الناهضة..

• الهجرة إلى عاصمة الضباب

ولد (فاروق بن عبد العزيز القاسم) عام 1936م في منطقة (الخندق) من ضواحي البصرة، لأسرة عربية متدينة، تنتمي إلى عائلة (المبارك)، التي ترتبط بأواصر النسب مع بعض العوائل الإماراتية، التي احترفت الملاحة في عرض البحر..

كان جده (قاسم) ملاحاً ماهراً، عرفه الناس بامتلاكه للسفن الشراعية، وبكثرة أسفاره ورحلاته البحرية الطويلة بين مرافئ الهند والسند ومرفأ البصرة، الذي كان سيد الموانئ والمرافئ في الخليج العربي..

كان أبوه مربياً فاضلاً، كرس نشاطاته التربوية والإنسانية في رعاية الأيتام، ووضع الأسس الصحيحة لاحتضانهم وتعليمهم وتأهيلهم، فكان من خيرة المديرين الذين تعاقبوا على إدارة مبرة البهجة في البصرة..

نشأ (فاروق) في كنف هذا الرجل الطيب في بيتهم الواقع في منطقة الخندق، ثم انتقلوا مؤقتاً إلى بساتين أبي الخصيب.

أكمل دراسته الأولية برعاية والده وإشرافه، ثم شد الرحال إلى بريطانيا عام 1952م؛ لمواصلة دراسته العليا على نفقة شركة نفط العراق، فالتحق بالكلية الإمبراطورية بلندن، وتخرج فيها عام 1957م، وكان من ضمن الدفعة الأولى لقسم الدراسات الجيولوجية..

عمل بعد تخرجه في إدارة الحقول بشركة نفط البصرة في البرجسية، ثم ترك الوظيفة عام 1967م، ولا ندري بالضبط، ما الذي دفعه لتقديم استقالته لينتقل عام 1968م للعيش في النرويج مع زوجته النرويجية (سولفرد)، وأولاده (فريد)، و(نادية)، و(رائد).

ربما كان لمرض ابنه الأصغر (رائد)، وإصابته بالشلل الدماغي التأثير الكبير في مغادرة العراق للبحث في المستشفيات النرويجية عن آخر ما توصلت إليه العلوم الطبية في التغلب على هذا المرض، بعد أن يئس من العثور عليه في العراق.

وصل (فاروق) إلى لندن برفقة زوجته وأطفاله، فتلقى توجيهات طبية تقضي بسفره إلى النرويج، التي سيجد في مستشفياتها العناية المرجوة لابنه العليل، وهكذا غادر لندن على الفور، وتوجه إلى (أوسلو)، فوصلها في الصباح، وكان يتعين عليه أن يستقل قطار المساء ليستقر في البيت الريفي لعائلة زوجته، فوجد أنه بحاجة إلى تمضية بعض الوقت في التجوال، وشاءت المصادفات أن يمر بالشارع الذي تقع فيه وزارة الصناعة، فوقف يتأمل بنايتها من بعيد، ثم قرر الولوج في أروقتها للاستفسار عن إمكانية تشغيله في إحدى شركات توزيع النفط في العاصمة، أو العمل بعقد مؤقت في نشاطات الوزارة النفطية المحدودة، لعلها تحتاج إلى خدمات جيولوجي متخصص بالتنقيب عن النفط، لكنه

لم يجد من يتفاهم معه في هذا الشأن، وطلبوا منه العودة بعد ساعتين. فكانت المفاجأة المصيرية.

• اللقاء المصيري

بعد ساعتين بالتمام والكمال، كان (فاروق) يجلس في مقر الوزارة حول مائدة مستديرة تضم نخبة من خبراء وزارة الصناعة النرويجية، لم يكن مرتبكاً في الرد على استفساراتهم، بل على العكس تماماً، فسرعان ما تحولت مسارات الحوار في هذا اللقاء لمصلحته منذ الدقائق الأولى، وبدا وكأنه هو الذي يوجه الأسئلة، وهو الذي يدير المقابلة، واكتشف بفراسته العربية الصائبة، أنهم بحاجة إلى شخص بمستواه المهني والمهاري والعلمي في المجالات النفطية الحقلية، فاستطاع أن يقنعهم ويستحوذ على اهتماماتهم، وانتهى اللقاء بتوقيع عقد التوظيف بدرجة مستشار نفطي مبدئياً لمدة ثلاثة أشهر فقط، ولكنها استمرت من أيلول (سبتمبر) 1968م إلى نيسان (أبريل) 1973م، على مدى أربع سنوات وثمانية أشهر، بمرتب شهري مشجع، في موقع مرموق، ونيطت به مهمة تحليل نتائج التنقيب في بحر الشمال منذ اليوم الأول لالتحاقه بوظيفته الجديدة، ولم يكن يعلم أنه سيكون قدم السعد، وتنفتح بوجهه مغاليق الحقول النفطية الغائرة في تلافيف البحر الغاضب.

• الغوص في بحر الشمال

فاتني أن أذكر أن النرويج كانت قبل وصول (فاروق) من البلدان الأوربية الفقيرة، وكانت تعتمد في توفير غذائها على الصيد البحري،

ومنتجات الألبان، وزراعة الفواكه والخضراوات في البيوت الزجاجية المغلقة، وكانت تمني نفسها باستخراج النفط من باطن الأرض، أو من جوف البحر، بيد أن مديرية المسح الجيولوجي النرويجية استبعدت إمكانية العثور عليه في البر والبحر، وهكذا فقدوا الأمل، وهبت عليهم رياح اليأس، فركزوا جهودهم على حماية حياتهم الهادئة، والبقاء على صناعاتهم التقليدية، فجاء (فاروق) ليغير الأوضاع البائسة، ويبعث الآمال من جديد في ضوء التقارير الإيجابية، التي أعدها بنفسه، فحمل الأنباء السارة، وزف لهم البشرى وهم لا يصدقون. وأثبتت عمليات الحفر بما لا يقبل الشك وجود النفط بكميات هائلة في حدود المسطحات البحرية النرويجية، فانقلبت التوجهات المركزية رأساً على عقب منذ ذلك اليوم، وتجددت العمليات البحرية، فتولى (فاروق) قيادة الأنشطة التنقيبية والإنتاجية، وتفعيلها ميدانياً..

كانت النرويج تعاقدت قبل وصول (فاروق) مع شركة (فليبس بتروليوم) للتنقيب عند سواحل جرفها القاري، وكانت الشركة على وشك الاعتذار، وإعلان الانسحاب، بعد أن فشلت في العثور على النفط، فتصدى لها (فاروق) بحججه العلمية وبياناته المنطقية، واستطاع أن يقنع الحكومة النرويجية برفض طلبات الإعفاء، التي تقدمت بها (فليبس)، وطلب من الحكومة فرض غرامات مالية ثقيلة على الشركة التي كادت تعلن التخلي عن التنقيب، وأكد ضرورة التركيز في التنقيب عند حقل (إيكوفيسك)، ولم تمض بضعة أيام على هذا الإصرار الفاروقي حتى تحققت المفاجأة، وتدفق النفط بكميات هائلة من قاع البحر، فأشرقت شمس البصرة الدافئة على الربوع النرويجية باكتشاف كنوز النفط ومشتقاته..

نجح (فاروق) في مهمته، فحلق بالنرويج من أسفل سافلين إلى قمة البلدان الأوربية الناهضة، فقفزت بين ليلة وضحاها إلى مصاف الأقطار النفطية، وتألقت في حلبة الاستكشافات النفطية بمساعدة هذا الشاب البصري المفعم بالحيوية، فتسلق سلم المجد، وارتقى إلى أعلى الدرجات والمراتب، فكلفته الحكومة النرويجية بإدارة عمليات التنقيب والإنتاج في عرض البحر، وكان هو الذي يدير دفة التفاوض في الشؤون التقنية مع الشركات الكبرى، وهو الذي يرسم الخطوط العامة للتشريعات النفطية والمالية، وكان هو الذي وضع اللبنة الأولى لتأسيس شركة النفط الوطنية النرويجية (Statoil)، وهو الذي أطلق عام 1996م فكرة إيداع إيرادات النفط النرويجية في صندوق توفير خاص يضمن حصة كل مواطن نرويجي، من الصغير إلى الكبير، ومن دون تمييز مذهبي أو طائفي أو عرقي أو فئوي، فمثل هذه التصنيفات غير موجودة في أذهان أعضاء الحكومات النرويجية المتعاقبة، وكان هو الذي اقترح على الحكومة النرويجية اعتماد ضوابط ثابتة صاغها بنفسه لضبط مسار التعاملات النرويجية المحدود مع الشركات النفطية الأجنبية، فكان له ما أراد، وصادق عليها البرلمان وصارت من التشريعات النافدة..

- **تحولات إيجابية**

تحول (فاروق) من عمله كمستشار نفطي ليصبح هو المدير العام لإدارة الموارد النفطية في عموم الرقعة الجغرافية للنرويج، للمدة من نيسان (أبريل) 1973م إلى كانون الأول (ديسمبر) 1990م، على مدى أكثر من ربع قرن من الزمان، وعلى وجه التحديد (سبعة وعشرين عاماً وتسعة

أشهر)، تألق فيها (فاروق) نحو الأعلى عندما وضع الأسس الصحيحة لاستثمار النفط في حقل (ترول Troll)، الواقع تحت إشراف خمس من كبريات الشركات النفطية، لكن اللافت للنظر، أن تلك الشركات كانت تستهين بمكامن النفط في هذا الحقل، وتظن أنها من الحقول غير المجدية اقتصادياً، ولا ترى أية فائدة ترتجى منه، في حين كان (فاروق) يخالفهم الرأي، ويصر على التركيز على استثمار النفط في هذا الحقل قبل الشروع بإنتاج الغاز، ويطالبهم بالسعي لتكثيف جهودهم، والعمل بتوجيهاته الميدانية السديدة، وبالخطوات التقنية التي رسمها لهم، مؤكداً استخراج النفط في المرحلة الأولى، ومن ثم الانتقال إلى استخراج الغاز الطبيعي في المرحلة الثانية، فكان له ما أراد، ونجح في إنقاذ هذا الحقل من الضياع، وهو الآن من أكبر خمسة حقول في تاريخ النرويج.

لم يواجه (فاروق) أية صعوبات في تعامله اليومي مع البيئة البحرية المعروفة بتقلباتها وقسوتها، وتلاطم أمواجها، وصعوبة التنقيب في أعماقها السحيقة..

لقد تنبه هذا الرجل لنقاط الاختلاف الجوهرية بين التنقيب في اليابسة والتنقيب في عرض البحر، واستطاع أن يتجاوز الفوارق الهندسية الكثيرة في التصاميم والحفر والتطوير والإدامة، وما إلى ذلك من تعقيدات تفرضها الظروف البحرية السائدة في بحر الشمال..

انصبت اهتمامات (فاروق) على كيفية التصرف بالموارد النفطية حتى تحقق الفائدة الكاملة، لم يقصر تفكيره على استخراج النفط من جوف البحر، بل كان مجسداً بسلسلة من الخطوات تبدأ بالتصرف بالموارد بالشكل الصحيح لاستخلاص أكبر نسبة من النفط الموجود تحت سطح

الأرض، ومن ثم تحويل الموارد المستخرجة إلى موارد نقدية، ثم الإصرار على تحويل الريع المالي إلى فوائد مستدامة تخدم الشعب بكل فئاته، وترعى مصالحه كلها، ولن تتوقف عند مراحل الإنتاج والتوزيع وحسب، بل تشمل كل المراحل الاقتصادية والتنموية والسياسية، بآفاقها المستقبلية العميقة الواسعة، وبالاتجاه الذي يلبي الاحتياجات الضرورية، ويحقق الأهداف الوطنية الاستراتيجية..

يعمل المفكر (فاروق) حالياً رئيساً لمؤسسة (بتروتيم Petroteam)، وقد باشر بهذه الوظيفة منذ أكثر من (21) عاماً، وحتى هذه الساعة، آخذين بنظر الاعتبار أنه التحق بها عام 1991م..

لقد قدم فاروق في العقدين الأخيرين خدمات لا تحصى للعديد من البلدان في إفريقيا والشرق الأوسط، منها تنزانيا، وموزنبيق، وغانا، وأنغولا، وساحل العاج، وأرتريا، والسودان، ولبنان، والعديد من البلدان المتعاونة مع النرويج، وكانت جميعها تهدف إلى تحسين إدارة قطاع النفط فيها، وخلق فوائد مستدامة لشعوب تلك البلدان، والحفاظ على تلك الفوائد والمنافع، ومنعها من التلاشي والضياع والغرق في مستنقعات الأزمات النفطية الخانقة..

بمعنى أنه أمضى نحو (4) سنوات من غربته بدرجة مستشار، ثم أمضى نحو (27) عاماً مديراً للموارد النفطية، وأمضى نحو (21) عاماً رئيساً لمؤسسة (بتروتيم). ومن ثم فإن المحصلة العامة للخدمات الجليلة التي سجلها هذا الرجل العبقري المبدع تزيد على نصف قرن من الكفاح الميداني المضني في عرض البحر، بما يشتمل عليه هذا الكفاح الطويل من دراسات جيولوجية ومسحية وتحليلية وتخطيطية مجدية، وبما واجهه من

معوقات وصعوبات وتحديات، كان لها الأثر الكبير في انتشال النرويج من واقعها الريفي الفقير، والارتقاء بها نحو مصاف الأقطار النفطية الغنية، المتباهية بحقولها النفطية والغازية المنتشرة في بحر الشمال.

• ثمرة الإبداع والتألق

دفعه حبه لفلذة كبده (رائد) إلى تحمل مشقة البحث عن دور الرعاية الصحية بين بريطانيا والنرويج، ومضى في بحثه المضني حتى أخذ الله بيده، وشمله برحمته الواسعة، فكُتب للطفل المشلول الشفاء، وتحسنت صحته بشكل ملحوظ، واستقرت العائلة في مدينة (ستافنجر) جنوب غرب النرويج، وأكرم الله رب الأسرة الصابر المثابر، فهيأ له سبل النجاح، وذلل له الصعاب، فتدفق الخير بين يديه، وتفجرت ينابيع الطاقة من ظلمات البحر المتلاطم الأمواج. وكان هو الخبير الكفء، والعالم المتميز بعبقريته الفذة..

عرفه الشعب النرويجي بأفكاره المستقبلية المثمرة، فنال الشهرة الواسعة، وعشقه الناس في القرى النرويجية لتواضعه وبساطته، فاستحق صولجان الريادة، ونال حبهم وكسب صداقتهم، فكانت قصة رحلته من البصرة، المتوهجة بحرارتها الخليجية، إلى أوسلو، المتجمدة ببرودتها القطبية، من أروع القصص والحكايات الشعبية في تلك الديار القريبة من القطب الشمالي، فذاع صيته هناك، وكان هو البطل الذي أنقذ الاقتصاد النرويجي من الانهيار..

ختاماً نقول: كان (فاروق) أول من اكتشف أن السعادة في النرويج هي الشيء الوحيد الذي يتعارض مع قوانين الرياضيات، فكلما تقاسمها مع الآخرين تضاعفت وازدهرت.

ثمن المعجزة

توجّهت الطفلة ذات السادسة إلى غرفة نومها، وتناولت حصالة نقودها من مخبئها السري في خزانتها، ثم أفرغتها مما فيها على الأرض، وأخذت تعد بعناية ما جمعته من نقود خلال الأسابيع الفائتة، ثم أعادت عدها ثانية فثالثة، ثم همست في سرها: «إنها بالتأكيد كافية، ولا مجال لأي خطأ»؛ وبكل عناية أرجعت النقود إلى الحصالة ثم لبست رداءها، وتسللت من الباب الخلفي، متجهة إلى الصيدلية التي لا تبعد كثيراً عن دارها.

كان الصيدلي مشغولاً للغاية، فانتظرته صابرة، ولكنه استمر منشغلاً عنها، فحاولت لفت نظره دون جدوى، فما كان منها بعد أن يئست إلا أن أخرجت قطعة نقود معدنية بقيمة ربع دولار من الحصالة، فألقتها فوق زجاج الطاولة التي يقف وراءها الصيدلي؛ عندئذ فقط انتبه لها، فسألها بصوت عبر فيه عن استيائه: ماذا تريدين أيتها الطفلة؟ إنني أتكلم مع شقيقي القادم من شيكاغو، والذي لم أره منذ زمن طويل.. فأجابته بحدة مظهرة بدورها انزعاجها من سلوكه:

شقيقي الصغير مريض جداً وبحاجة إلى دواء اسمه (معجزة)، وأريد أن أشتري له هذا الدواء.

أجابها الصيدلي بشيء من الدهشة: عفواً، ماذا قلتِ؟

فاستأنفت كلامها قائلة بكل جدية: شقيقي الصغير أندرو، يشكو من مشكلة في غاية السوء، يقول والدي إن هناك ورماً في رأسه، لا تنقذه منه سوى معجزة، هل فهمتني؟؟؟ فكم هو ثمن (معجزة)؟ أرجوك أفدني حالاً!

أجابها الصيدلي مغيراً لهجته إلى أسلوب أكثر نعومة: أنا آسف، فأنا لا أبيع (معجزة) في صيدليتي!

أجابته الطفلة ملحَّة: اسمعني جيداً، فأنا معي ما يكفي من النقود لشراء الدواء، فقط قل لي كم هو الثمن.

كان شقيق الصيدلي يصغي إلى الحديث، فتقدم من الطفلة سائلاً: ما نوع (معجزة) التي يحتاجها شقيقك أندرو؟

أجابته الفتاة بعينين مغرورقتين: لا أدري، ولكن كل ما أعرفه أن شقيقي حقيقة مريض جداً، قالت أمي إنه بحاجة إلى عملية جراحية، ولكن أبي أجابها، أنه لا يملك نقوداً تغطي هذه العملية، لذا قررت أن أستخدم نقودي.!

سألها شقيق الصيدلي مبدياً اهتمامه: كم لديك من النقود يا صغيرة؟

فأجابته مزهوة: دولار واحد وأحد عشر سنتاً، ويمكنني أن أجمع المزيد إذا احتجت.

أجابها مبتسماً: يا لها من مصادفة! دولار وأحد عشر سنتاً، هي بالضبط المبلغ المطلوب ثمناً ل(معجزة) من أجل شقيقك الصغير.

ثم تناول منها المبلغ بيد، وباليد الأخرى أمسك بيدها الصغيرة، طالباً منها أن تقوده إلى دارها ليقابل والديها، وقال لها: أريد رؤية شقيقك أيضاً.

لقد كان ذلك الرجل هو الدكتور كارلتُن أرمسترنغ، جرّاح الأعصاب المعروف.

وقد قام الدكتور كارلتن بإجراء العملية للطفل أندرو مجاناً، وكانت عملية ناجحة تعافى بعدها أندرو تماماً.. بعد بضعة أيام، جلس الوالدان

يتحدثان عن تسلسل الأحداث منذ تعرَّفا الدكتور كارلتون وحتى نجاح العملية وعودة أندرو إلى حالته الطبيعية، كانا يتحدثان وقد غمرتهما السعادة، وقالت الوالدة في سياق الحديث: «حقاً إنها معجزة!».

ثم تساءلت: «تُرى كم كلفت هذه العملية؟».

رسمت الطفلة على شفتيها ابتسامة عريضة، فهي تعلم وحدها أن (معجزة) كلفت بالضبط دولاراً واحداً وأحد عشر سنتاً.

عندما يكون حب الآخرين.. صادقاً.. ونابعاً من القلب.. عندها ستكون المعجزة.. ولن تكلف الكثير..

مودتي للجميع

همــة طفـــل

قصة رائعة!

كلَّ يوم جمعة، وبعد الصلاة، كان الإمامُ وابنُه البالغ من العمر إحدى عشرة سنة من شأنه أن يخرج في بلدتهم في إحدى ضواحي أمستردام، ويوزع على الناس كتيباً صغيراً بعنوان (الطريق إلى الجنة)، وغيره من المطبوعات الإسلامية.

وفي أحد الأيام بعد ظهر الجمعة، وقد حان وقت نزول الإمام وابنه إلى الشوارع لتوزيع الكتيبات، وكان الجو بارداً جداً في الخارج، فضلاً عن هطول الأمطار، ارتدى الصبي كثيراً من الملابس حتى لا يشعر بالبرد، وقال: «حسناً يا أبي، أنا مستعد!». سأله والده: «مستعد لماذا؟»، قال الابن: يا أبي، لقد حان الوقت لكي نخرج لتوزيع هذه الكتيبات الإسلامية. أجابه أبوه: الطقس شديد البرودة في الخارج، والسماء تمطر بغزارة.

أدهش الصبي أباه بالإجابة وقال: ولكن يا أبي، لا يزال هناك ناس يذهبون إلى النار مع أنها تمطر.

أجاب الأب: حسناً؛ لن أخرج في هذا الطقس.

قال الصبي: هل يمكن يا أبي أن أذهب أنا من فضلك لتوزيع الكتيبات؟

تردد والده للحظة ثم قال: يمكنك الذهاب. وأعطاه بعض الكتيبات.

قال الصبي: شكراً يا أبي!

مع أن عمر هذا الصبي أحد عشر عاماً فقط، إلا أنه مشى في شوارع المدينة في هذا الطقس البارد الممطر لكي يوزع الكتيبات على من يقابلهم من الناس، وظل يتردد من باب إلى باب حتى يوزع تلك الكتيبات.

بعد ساعتين من المشي تحت المطر، بقي معه كتيب واحد، وظل يبحث عن أحد المارة في الشارع لكي يعطيه إياه، ولكن الشوارع كانت مهجورة تماماً. فكان أن استدار إلى الرصيف المقابل لكي يذهب إلى أول منزل يقابله حتى يعطيهم الكتيب.

ودق جرس الباب، ولكن لا أحد يجيب..

أعاد الطرق على الباب، ولكن ما من أحد يجيب، فعزم أن يرحل، ولكن شيئاً كان يمنعه.

مرة أخرى، التفت إلى الباب ودق الجرس، وأخذ يطرق على الباب بقبضته بقوة، وهو لا يعلم ما الذي جعله ينتظر كل هذا الوقت، وظل يطرق على الباب.. وأخيراً.. فُتح الباب ببطء.

كانت تقف عند الباب امرأة كبيرة في السن، وتبدو عليها علامات الحزن الشديد، فقالت له: ماذا أستطيع أن أفعل لك يا بني؟

قال لها الصبي الصغير، ونظر إليها بعينين متألقتين، وعلى وجهه ابتسامة أضاءت لها العالم: «سيدتي، أنا آسف إذا كنت أزعجتك، ولكن فقط أريد أن أقول لك إن الله يحبك حقيقة، ويعتني بك، وجئت لكي أعطيكِ آخر كتيب معي، والذي سوف يخبرك كل شيء عن الله، والغرض الحقيقي من الخلق، وكيفية تحقيق رضوانه».

ناولها الكتيب، وهمَّ بالانصراف، فقالت له: «شكراً لك يا بني! وحياك الله!».

في الأسبوع التالي، بعد صلاة جمعة، ألقى الإمام محاضرة، وعندما انتهى منها سأل: «هل لدى أي شخص سؤال، أو يريد أن يقول شيئاً؟».

ببطء، وفي الصفوف الخلفية، وبين السيدات، كانت سيدة عجوز يُسمع صوتها تقول:

لا أحد في هذا الجمع يعرفني، ولم آتِ إلى هنا من قبل، وقبل الجمعة الماضية لم أكن مسلمة، ولم فكر أن أكون كذلك.

لقد توفي زوجي منذ أشهر قليلة، وتركني وحيدة تماماً في هذا العالم.. ويوم الجمعة الماضي كان الجو بارد جداً وكانت تمطر، قررت أن أنتحر؛ لأنه لم يبقَ لدي أي أمل في الحياة، لذا أحضرت حبلاً وكرسياً، وصعدت إلى الغرفة العلوية في بيتي، ثم قمت بتثبيت الحبل جيداً في إحدى عوارض السقف الخشبية، ووقفت فوق الكرسي، وثبت طرف الحبل الآخر حول عنقي، لقد كنت وحيدة ويملؤني الحزن، وهممت أن أقفز، فسمعت فجأة صوت جرس الباب في الطابق السفلي، فقلت: سوف أنتظر لحظات ولن أجيب، وأياً كان من يطرق الباب فسوف يذهب بعد قليل.

انتظرت ثم انتظرت حتى ينصرف من بالباب، ولكن كان صوت الطرق على الباب ورنين الجرس يرتفع ويزداد. قلت لنفسي مرة أخرى: «من على وجه الأرض يمكن أن يكون هذا؟ لا أحد على الإطلاق يدق جرس بابي، وما من أحد يأتي ليراني!».

رفعت الحبل من حول رقبتي وقلت: أذهب لأرى من الذي يدق الجرس والباب بقوة، وبهذا هذا الإصرار.

عندما فتحت الباب لم أصدق عيني، فقد كان صبياً صغيراً، وعيناه

تتألقان، وعلى وجهه ابتسامة لم أر مثلها من قبل، حقيقة لا يمكنني أن أصفها لكم.

الكلمات التي جاءت من فمه لامست قلبي، الذي كان ميتاً ثم قفز إلى الحياة مرة أخرى، وقال لي بصوت حنون: «سيدتي، لقد أتيت الآن لكي أقول لك إن الله يحبك حقيقة ويعتني بك!». ثم أعطاني هذا الكتيب الذي أحمله (الطريق إلى الجنة).

وكما أتاني هذا الملاك الصغير فجأة اختفى مرة أخرى، وذهب من خلال البرد والمطر، أما أنا فأغلقت بابي، وبتأنٍّ شديد قمت بقراءة كل كلمة في هذا الكتاب. ثم ذهبت إلى الأعلى، وقمت بإزالة الحبل والكرسي؛ لأنني لن أحتاج إلى أي منهما بعد الآن.

ترون؟ أنا الآن سعيدة جداً لأنني تعرفت الإله الواحد الحقيقي.

ولأن عنوان هذا المركز الإسلامي مطبوع على ظهر الكتيب، جئت إلى هنا بنفسي لأقول لكم: الحمد لله، وأشكركم على هذا الملاك الصغير الذي جاءني في الوقت المناسب تماماً، وبه تم إنقاذ روحي من الخلود في الجحيم. لم تبق في ذاك المسجد عين لم تدمع، وتعالت صيحات التكبير.... الله أكبر...

نزل الإمام الأب من على المنبر، وذهب إلى الصف الأمامي حيث كان يجلس ابنه.. هذا الملاك الصغير... واحتضنه بين ذراعيه، وأجهش في البكاء أمام الناس دون تحفظ. ربما لم يكن بين هذا الجمع أب فخور بابنه مثل هذا الأب.

أين نحن من همة هذا الابن؟ كم تمنيت أن أكون ذلك الطفل.

فإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها.. الأجسام.

حوار بين العلم والمال والشرف

في أحد الأيام اجتمع المال والعلم والشرف، ودار بين الثلاثة الحوار التالي:

- **قال المالْ:**

إن سحري على الناس عظيم..
وبريقي يجذب الصغير والكبير،
بي تفرج الأزمات..
وفي غيابي تحل التعاسة والنكبات!

- **قال العلْم:**

إنني أتعامل مع العقول..
وأعالج الأمور بالحكمة والمنطق والقوانين المدروسة!
لا بالدرهم والدينار!
إنني في صراع مستمر من أجل الإنسان ضد أعداء الإنسانية؛
الجهل والفقر والمرض.



- **قال الشرف:**

أما أنا فثمني غال ولا أُباع وأُشترى، من حرص عليّ شرفتُه..
ومن فَرّطَ فيّ حَطَمتُه وأذللته!

عندما أراد الثلاثة الانصراف تساءلوا: كيف نتلاقى؟

- **قال المال:**

إن أردتم زيارتي يا إخواني فابحثوا عني في ذلك القصر العظيم.

- **وقال العلم:**

أما أنا فابحثوا عني في تلك الجامعة وفي مجالس الحكماء.

ظل الشرف صامتاً، فسأله زميلاه: لم لا تتكلم؟؟؟؟

- **قال:** أما أنا فإن ذهبت فلا أعود.

قصة.. اللي استحوا ماتوا

أصل القصة أن الحمامات التركية القديمة كانت تستعمل الحطب والأخشاب والنشارة لتسخين أرضية الحمام وتسخين المياه لتمرير البخار من خلال الشقوق.

وكانت قباب معظم الحمامات ومناورها من الخشب، وحدث أن حريقاً شبّ في حمام للنساء، وحيث إن الحمام مخصص للنساء فقد اعتادت الكثيرات منهن على الاستحمام عاريات لا يسترهن إلا البخار الكثيف. وعندما حصل الحريق هربت كل امرأة كاسية (يعني لابسة هدوم)، أما النسوة العاريات فقد بقين خشية وحياءً، وفضّلن الموت على الخروج.

وعند عودة صاحب الحمام هاله ما رأى، وسأل البواب: هل مات أحد من النساء؟

فأجابه البواب: نعم.... فقال له: من مات؟

أجاب البواب: اللي استحوا ماتوا...

(لو كنا في هذه الأيام هل كان يموت أحد!!!!؟؟)

حكمة عجيبة

سأل رجل مهموم حكيماً فقال: أيها الحكيم، لقد أتيتك وما لي حيلة فيما أنا فيه من الهم؟

فقال الحكيم: سأسألك سؤالين، وأُريد إجابتهما.

فقال الرجل: اسأل.

فقال الحكيم: أجئت إلى هذه الدنيا ومعك تلك المشاكل؟

قال: لا.

فقال الحكيم: هل ستترك الدنيا وتأخذ معك المشاكل؟

قال: لا.

فقال الحكيم: أمرٌ لم تأتِ به، ولن يذهب معك.. الأجدر ألا يأخذ منك كل هذا الهم، فكن صبوراً على أمر الدنيا، وليكن نظرك إلى السماء أطول من نظرك إلى الأرض يكن لك ما أردت.

ابتسم... فرزقك مقسوم وقدرك محسوم.. وأحوال الدنيا لا تستحق الهموم، لأنها بين يدي الحي القيوم.

يقول أَحَد المتأمِّلين: يَحيا المؤمن بيَن أمرين: يُسر وعُسر، وكلاهما «نِعمة» لو أيقَن؛

فِفي اليسر: يكون الشكر ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144].

وَ في العسر: يكون الصبر، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر: 10].

إذًا أردت أن تعيش سعيداً فلا تفسر كل شيء، ولا تدقق بكل شي، ولاتحلل كل شيء؛ فإن الذين حللوا الألماس وجدوه فحماً.

أجوبة محكمة..

سُئل حكيم: من القوي من الناس؟ قال: هو من يستطيع أن يكبت جماح نفسه.

فقيل له: ومن الضعيف؟ فقال: هو من تسمع صوته مدوياً.

قيل: فمن العبقري؟ قال: هو من يختلف عليه اثنان.

فقيل له: ومن العادي؟ قال: هو من يتفق عليه اثنان.

قيل: ومن العاقل؟ قال: هو من ينحني للعواصف.

قيل: فمن المجنون؟ قال: هو من يدعي العقل.

فقيل: من التافه؟ قال: هو من يتصور أنه أذكى الناس.

قيل: فمن الثرثار؟ قال: هو من يتحدث دون معنى.

فقيل له: من الفصيح؟ قال: هو من يوجز في حديثه.

قيل: فمن العالم؟ قال: هو من تجد عنده المعرفة.

قيل: ومن الكاتب؟ قال: هو من يكتب بإحساسه لنفسه.

قيل: فمن الصادق؟ قال: هو من يصدق أولاً مع نفسه.

فقيل: ومن الكاذب؟ قال: هو من الشيطان بنفسه.

قيل: فمن الناقص؟ قال: هو كل إنسان.

فقيل للحكيم: فمن الكامل؟ قال: الله سبحانه وتعالى.

التغيير يبدأ بنفسك أولاً. !!

في يوم من أيام الشتاء البارد، ركبت امرأة سمراء الحافلة العمومية للمدينة، وجلست في الصفوف الأمامية، وعندما اقترب منها رجل توقع منها تلقائياً أن تقوم من مكانها؛ لأنه كان أبيض البشرة!، فالقانون ينص على أن يجلس أصحاب البشرة غير البيضاء في آخر الحافلة!. حدث هذا في عام 1956م في أمريكا، البلد الذي كان، وما زال، يصرخ وينادي بالمساواة بين طبقات المجتمع.

لكن المرأة السمراء أبت ذلك بكل شجاعة وعزيمة، فنهرها، فأصرت على حقها في المقعد، مما أدى إلى استدعاء الشرطة التي أجبرتها بالقوة عن التخلي عن حقها، وتم القبض عليها، وتغريمها أربعة عشر دولاراً.

كانت تلك الشرارةَ التي أطلقت العنان في البلاد كافة للمظاهرات والاحتجاجات على التمييز العنصري، والتي أدت إلى إعادة النظر في قانون الحريات في الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي عام 1964م صدر قانون الحريات المدنية، الذي حرم التمييز على أساس العرق في الولايات المتحدة.

أما نحن فأصدرناه من قبل ألف وأربعمئة سنة.. فيا ليت قومي يعقلون!. وقد حصلت المرأة السمراء روزا باركس على الوسام الرئاسي للحرية عام 1996م، وبعدها بثلاث سنوات نالت أعلى وسام في الدولة؛ وهو الوسام الذهبي من الكونجرس، وحتى الحافلة كُرمت! ووضعت في متحف هنري فورد.

إن روزا باركس أثبتت للعالم أجمع أن امرأة واحدة تكفي. وقد ينطبق ذلك على غير بني البشر؛ فربما نملة واحدة تكفي أيضاً، فقد جاء في الحديث: «خرج نبي من الأنبياء يستسقي، فإذا هو بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء، فقال: ارجعوا؛ فقد استجيب لكم من أجل شأن النملة».

من أجل التغيير لا بد من عزيمة متوقدة، والعزيمة تبدأ بك أنت، ثم يتأثر بك من حولك، ربما بيتك أو عملك، أو العالم أجمع، يقول غاندي: «إذا أردت أن تغير العالم، فابدأ بنفسك». علمنا غاندي درساً يبقى خالداً للتاريخ، لا بد أن نقف عنده متأملين، إنه يُثبت لنا أن رجلاً واحداً يكفي لصنع الفرق والتغيير، نعم يمكنه وحده أن يسبح ضد التيار إذا كان عنده عزم وإصرار.

كلنا ولدنا بهذا الإصرار، ولكنه ضاع وتاه في الطريق، أفلا ترون أن الطفل يولد ومعه فطرة العزيمة والإصرار؟ فعندما تقع عيناه البريئتان على أشياء جديدة من حوله فإنه يظل يحاول مرة تلو الأخرى دون يأس حتى ينجح، لترتسم على شفتيه ابتسامة الرضا والنجاح، فدعوه يحاول ولا تفسدوا عليه فطرته!

هل هذه العزيمة والإصرار لعرق دون عرق، أو لمكان دون آخر، أو لزمان غير زماننا؟

كلا، إنها موجودة في كل عرق وزمان ومكان.

أفَنَعي نحن ذلك أيضاً ونبدأ الآن.. وليس غداً؟

حكيم الزمان عمره عشر سنوات

وكان الحاكم هو الحجاج بن يوسف الثقفي.!!

إليكم الأحداث.

دخل غلام لا يتجاوز العاشرة من عمره على الحجاج في قبته الخضراء، وعنده وجوه القوم ووجهاء العرب.

نظر الغلام إلى القبة، وقلب بصره فيها، ثم قال بسخرية واستهزاء: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: 128-130].

وكان الحجاج متكئاً فاستوى جالساً، وقال: يا غلام إني أرى لك عقلاً وذهناً، أحفظت القرآن؟

الغلام: أخفتُ على القرآن من الضياع حتى أحفظه؟ فقد حفظه الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

الحجاج: أجمعت القرآن؟

الغلام: أوَكان متفرقاً حتى أجمعه؟

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: 17].

فأخذت الحجاج الدهشة، وراح يفكر، ثم قال: أأحكمت القرآن؟

الغلام: أوليس الذي أنزله حكيماً حتى أحكمه؟ ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: 1].

وهنا تتجلى قوة التحدي في اللعب بالألفاظ، فقد كان الحجاج من أذكى أهل زمانه، فساءه أن تتحطم قوته أمام غلام ضعيف، فقال:

أوَاستظهرت القرآن؟

الغلام: معاذ الله أن أجعل القرآن ورائي ظهرياً.

الحجاج: ويلك ماذا أقول؟

الغلام: الويل لك أنت، قل: أَوَعيت القرآن في صدرك؟

وتوقع من في المجلس أن يأمر الحجاج بقتل الغلام، ولكنه سأله: من أنت؟

الغلام: عبد الله.

الحجاج: من أبوك؟

الغلام: الذي زرعني.

الحجاج: أين نشأت؟

الغلام: في الجبال.

الحجاج: من أرسلك إلي؟

الغلام: عقلي.

الحجاج: أفمجنون أنت؟

الغلام: لو كنت مجنوناً لما وقفت بين يديك كأني ممن يرجو فضلك ويخاف عقابك.

الحجاج: ناولني هذه الدواة.

الغلام: لا.

الحجاج: ولم؟

الغلام: أخاف أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها.

الحجاج: ولكن أريد أن آمر لك بخمسين ألف درهم تستعين بها على ألا تعود إلينا.

فضحك الغلام.

الحجاج: ما أضحكك؟

الغلام: عجبت لجرأتك على ربك، تصدَّقْ بهذا المبلغ على من ظلمتهم وأهلكت راعيهم فإن الحسنات يذهبن السيئات.

فغضب الحجاج غضباً شديداً، واستفتى من حوله قائلاً: ما ترون في أمر هذا الغلام؟

فأشاروا عليه بسفك دمه.

عند ذلك قال الغلام: جلساء أخيك خير من جلسائك يا حجاج.

الحجاج: أخي؟ من؟ الوليد؟

الغلام: بل فرعون، فإنه لما استفتى جلساءه في موسى أشاروا عليه بتركه، وهؤلاء أشاروا عليك بقتلي.

فقام رجل من القوم وقال: هبه لي يا مولاي.

الحجاج: هو لك لا بارك الله لك فيه.

فضحك الغلام حتى احمر وجهه ثم قال: والله لا أدري أيكما أحمق من الآخر، الواهب أم المستوهب؟

الرجل: أأنجيك من القتل وتقابلني بهذا؟

الغلام: أوَتملك لنفسك نفعاً أو ضراً؟

الرجل: لا.

الغلام: فكيف تملك لنفسي أنا؟

فأُخذ الحجاج بفصاحة هذا الغلام وقال: يا غلام أمرنا لك بمئة ألف درهم، وعفونا عنك لصغر سنك، ورجاحة عقلك، فاخرج. ولئن رأيتك في مجلسي هذا فسأدق عنقك.

الغلام: ما كنت لأقبل هبة تذيلها لفظات التهديد والوعيد،

أما عفوك فبيد الله لا بيدك يا حجاج، لا جمعني الله وإياك حتى يلتقي السامري وموسى. ثم خرج لا يلوي على شيء؟

إذا كان هذا الصبي عمره عشر سنوات، فأين من يدعون الحكمة والرجولة والدين من رؤساء وملوك وقادة العالم اليوم؟ وهل يجرؤ أحدهم فيقدم للظالمين النصح والمشورة في أمر البلاد والعباد؟

قال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83].

س.خ

سرق رجل في بلاد الهند قطيعاً من الخراف، فقبضوا عليه ووشموا على جبهته (س.خ)؛ أي سارق خراف، ولكن الرجل قرر التوبة والتغيير. في البداية تشكك الناس منه، ولكنه أخذ يساعد المحتاجين، ويمد يد العون للجميع؛ الغني والفقير، ويعود المريض، ويعطف على اليتيم.

وبعد سنين مر رجل بالقرية، فوجد رجلاً عجوزاً موشوماً، وكل من يمر به يسلم عليه ويقبّل يده، والرجل يحتضن الجميع، وهنا سأل الرجل أحد الشباب عن الوشم الموجود على جبهة هذا العجوز؛ ما معناه؟

فقال الشاب: لا أدري، لقد كان هذا منذ زمن بعيد، ولكني أعتقد أنه يعني الساعي في الخير.

تذكَّرْ:

ما يبدو أحياناً وكأنه النهاية، كثيراً ما يكون بداية جديدة.

ليس للكلمات أي معنى سوى المعاني التى نعطيها لها.

السبيل الوحيد لجعل البشر يتحدثون خيراً عنك، هو قيامك بعمل طيب.

أعد اكتشاف نفسك

في أحد أركان مترو الأنفاق المهجورة.. كان هناك صبي هزيل الجسم.. شارد الذهن.. يبيع أقلام الرصاص.. وكان الناس يحسنون إليه من غير أن يأخذوا منه شيئاً.

مرَّ به أحد رجال الأعمال.. فوضع دولاراً في كيسه ثم استقل المترو في عجلة من أمره، وبعد لحظة من التفكير، خرج من المترو مرة أخرى، وسار نحو الصبي... وتناول بعض أقلام الرصاص، وأوضح للشاب بلهجة يغلب عليها الاعتذار أنه نسي انتقاء الأقلام التي أراد شراءها منه... وقال: إنك رجل أعمال مثلي، ولديك بضاعة تبيعها، وأسعارها مناسبة للغاية، ثم استقل القطار التالي.

بعد سنوات من هذا الموقف، وفي إحدى المناسبات الاجتماعية، تقدم رجل أعمال شاب أنيق نحو رجل الأعمال، وقدم نفسه له قائلاً: إنك لا تذكرني على الأرجح، وأنا لا أعرف حتى اسمك، ولكني لن أنساك ما حييت.

إنك أنت الرجل الذي أعاد إلي احترامي وتقديري لنفسي، لقد كنت أظن أنني مجرد (شحاذ) فاشل أبيع أقلام الرصاص، إلى أن جئت أنت وأخبرتني أنني رجل أعمال.

***

قال أحد الحكماء ذات مرة: إن كثيراً من الناس وصلوا إلى أبعد مما ظنوا أنفسهم قادرين عليه لأن شخصاً آخر ظن أنهم قادرون على ذلك.

يا ترى ماذا نظن أبناءنا قادرين على فعله، بل وماذا نظن بأنفسنا؟

هل فشلت في تحقيق شيء مهم في حياتك؟؟!! هل مررت في حياتك بمعاناة وحزن وإحباطات؟

هل تعبت من كثرة الفشل والإحباطات حتى وصلت إلى عقلك وأعماقك وجسمك وصحتك؟!! هل هذا الفشل جعلك تخاف من اتخاذ خطوة عملية تجعلك تسهم في بناء حضارة بلادك؟!!

هل نسيت أحلامك؟!!

إن الفشل في تحقيق ما تريد أمر طبيعي في العالم الذي نعيش فيه. وليس الفشل هو الذي يجعل منا فاشلين، لكن إذا توقفنا عن المحاولات، وقبلنا هذا الفشل نكون فاشلين.

لماذا يفشل بعض الناس باستمرار؟

لأنهم ألفوا بعض الكلمات المحبطة مثل: هذا مستحيل- صعب- لا أقدر- هل فعلها أحد قبلنا- تعبت من كثرة الإحباطات والفشل الذي مررت به.

ليس المهم ما حدث لك في الماضي، ولكن ماذا ستفعل الآن. نعم، الآن هو الذي سيصنع الفرق في حياتك. وحتى تتغير الأمور يجب أن أتغير أنا وليس الآخرين. لا ترضَ أن تعيش على هامش الحياة وكأنه لا وزن لك ولا قيمة.

إنه من المستحيل أن تغير أمسك..، وقد يكون صعباً أن تغير يومك، ولكن بالتعليم من فشلك وأخطائك في الماضي، كل شيء ممكن غداً، بإذن الله، لأن قدرتك غير محدودة على الإطلاق،... غير محدودة... غير محدودة... بشكل غير طبيعي لو أردت أن تكون ناجحاً فأعط فوق طاقتك فقط 1 ٪، عندها تشعر بأنك تعطي وتحقق نجاحاً حقيقياً.

أفعال صغيرة تقودك إلى نجاحات كبيرة.

طموحاتنا بالحياة تحدثها أفعال صغيرة.

وإن كانت نظرتك المبدئية فشلاً فاعتبرها تجربة تعلمت منها واستفدت منها، لأن كل شيء خلقه الله تعالى بسبب، وما حدث لك حدث بسبب، ربما كان يهيئك لأمر ما!!

أنت في يديك تكون أو لا تكون!

بعض الناس يمشي بالحياة، ويضع فشله أمامه! وبعض الناس يمشي بالحياة وتجاربه السابقة يتركها وراءه، يترك هذا الماضي مع مآسيه وإحباطاته وينطلق من جديد!

فحدد من أي الفريقين أنت؟!

تقول حكمة: «اذهب خلف حلمك مع رغبة جادة وعزم وتصميم، فإما أن تنجح، وإما أن تتعلم وتكبر».

ربما ما يراه الناس منك فشلاً هو بالحقيقة خطوة نحو نجاحك الأكيد، لذلك أريدك أن تصعد فوق فشلك. صدقني لو شغلت فكرك بالنجاح فستنجح بإذن الله، ولو شغلت فكرك بالفشل فستفشل.

فالقرار لك. وتأكد بأن النجاح هو قرار تتخذه الآن وليس غداً.

أنت مطرود من العمل

التحق شاب أمريكي يدعى «والاس جونسون» بالعمل في ورشة كبيرة لنشر الأخشاب، وقضى الشاب في هذه الورشة أحلى سنوات عمره، حيث كان شاباً قوياً قادراً على الأعمال الخشنة الصعبة.

وحين بلغ سن الأربعين، وكان في كمال قوته، وأصبح ذا شأن في الورشة التي اشتغل بها لسنوات طويلة، فوجئ برئيسه في العمل يبلغه أنه مطرود من الورشة، وعليه أن يغادرها نهائياً بلا عودة.

في تلك اللحظة خرج الرجل إلى الشارع بلا هدف، وبلا أمل، وتتابعت في ذهنه صور الجهد الضائع الذي بذله على مدى سنوات عمره كله، فأحس بالأسف الشديد، وأصابه الإحباط واليأس العميق، وأحس -كما قال- وكأن الأرض قد ابتلعته فغاص في أعماقها المظلمة المخيفة.

لقد أغلق في وجهه باب الرزق الوحيد، وكانت قمة الإحباط لديه بأن ليس لديه ولدى زوجته شيء من مصادر الرزق غير أجرة العمل من ورشة الأخشاب، ولم يكن يدري ماذا يفعل.

ذهب إلى البيت، وأبلغ زوجته بما حدث، فقالت له زوجته: ماذا نفعل؟ فقال: سأرهن البيت الصغير الذي نعيش فيه، وسأعمل في مهنة البناء.

وبالفعل كان المشروع الأول له هو بناء منزلين صغيرين بذل فيهما جهده، ثم توالت المشاريع الصغيرة وكثرت، وأصبح متخصصاً في بناء المنازل الصغيرة، وفي خلال خمسة أعوام من الجهد المتواصل أصبح مليونيراً مشهوراً، إنه «والاس جونسون» الرجل الذي أنشأ وبنى

سلسلة فنادق (هوليدي إن)، وأنشأ عدداً لا يحصى من الفنادق وبيوت الاستشفاء حول العالم.

يقول هذا الرجل في مذكراته الشخصية: لو علمت الآن أين يقيم رئيس العمل الذي طردني، لتقدمت إليه بالشكر العميق لأجل ما صنعه لي؛ فَعندما حدث هذا الموقف الصعب تألمت جداً ولم أفهم لماذا، أما الآن فقد فهمت أن الله شاء أن يغلق في وجهي باباً ليفتح أمامي طريقاً أفضل لي ولأسرتي.

الحكمة: لا تظن بتاتاً أن أي فشل يمر بحياتك هو نهاية لك.. فقط فكر جيداً، وتعامل مع معطيات حياتك، وابدأ من جديد بعد كل موقف، فالحياة لا تستحق أن نموت حزناً عليها؛ لأنه باستطاعتنا أن نكون أفضل بوجود العزيمة والإصرار، قال الله تعالى:

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216].

القوة والضعف

قرر صبي يبلغ من العمر 10سنوات تعلم الجودو، مع أنه قد فقد ذراعه اليسرى في حادث سيارة عنيف. وبدأ الصبي الدروس مع مدرب جودو ياباني مسن. كان أداء الصبي حسناً، إلا أنه لم يستطع أن يفهم لماذا بعد ثلاثة أشهر من التدريب لم يعلمه المدرب سوى حركة واحدة فقط.

أخيراً قال الصبي لمدربه: سنسي «هكذا يسمى المدرب باليابانية»، لماذا لا أتعلم حركات أخرى؟

قال سنسي: هذه هي الحركة الوحيدة التي تعرفها، ولكنها الحركة الوحيدة التي سوف تحتاجها دائماً وأبداً. لم يفهم الصبي ما يقصد سنسي، لكنه كان يؤمن بمدربه، لذا استمر الصبي في التدريب.

بعد عدة أشهر، أشرك سنسي الصبي بالبطولة الأولى له، وكان مما أدهش الصبي أنه فاز بسهولة في المباراتين الأوليين. كانت المباراة الثالثة أكثر صعوبة، ولكن مع مرور الوقت، فَقَدَ خصمه الصبر واستشاط غضباً، واستطاع الصبي الفوز بالمباراة باستخدامه حركته الوحيدة بإتقان. زادت دهشة الصبي بنجاحه، ووصل الصبي الآن للمباراة النهائية في البطولة.

هذه المرة، كان منافسة أكبر وأقوى وأكثر خبرة. لبعض الوقت، بدا أن الصبي سوف يخسر، وخوفاً أن يقع ضرر كبير على الصبي، قام الحكم بإعطاء استراحة، وكان على وشك إيقاف المباراة، عندها تدخل سنسي قائلاً: «لا»، وأصر: «دعه يستمر».

بعد وقت قصير من استئناف المباراة، ارتكب الخصم خطأً قاتلاً؛

لقد استغنى عن وضعه الدفاعي. وعلى الفور، استخدم الصبي حركته الوحيدة وثبت خصمه. لقد فاز الصبي بالمباراة وبالبطولة، وأصبح البطل.

في طريق العودة، استعرض الصبي وسنسي جميع الأحداث في كل المباريات. ثم استجمع الصبي شجاعته وسأل عما يشغل باله: «سنسي، كيف فزت في البطولة بحركة واحدة فقط؟».

أجابه سنسي: «لقد فزت لسببين اثنين؛ الأول: لقد كنت تتقن واحدة من أصعب الحركات في الجودو على الإطلاق. والسبب الثاني: أن الحركة الدفاعية المعروفة والوحيدة لتلك الحركة هي أن يقوم الخصم بالإمساك بذراعك اليسرى والسيطرة عليها».

لقد كانت نقطة ضعف الصبي الكبرى، هي من أعظم نقاط قوته.

أحياناً نرى أن لدينا بعض نقاط الضعف، وقد نسخط على قدر الله أو على الظروف أو على أنفسنا بسبب ذلك، لكن لنعلم أن ضعفنا يمكن أن يصبح قوتنا في يوم ما.

كل واحد منا مميز ومهم، لذا لا تعتقد أبداً أنك ضعيف، ولا تغتر بنفسك ولا تشعر بالأسى، فقط عش حياتك على أكمل وجه وقدم أفضل ما لديك.

عندما ترى الآخرين بشكل مختلف

في إحدى ليالي خريف 1995م، وفي أثناء إبحار إحدى السفن الحربية الأمريكية العملاقة بسرعة كبيرة بالقرب من السواحل الكندية، أظهرت أجهزة الرادار جسماً هائلاً في طريقه إلى الاصطدام بالسفينة.

هرع القبطان إلى جهاز اللاسلكي، وخاطب الجهة الأخرى..

القبطان: هنا قبطان السفينة الحربية الأمريكية، مطلوب تغيير الاتجاه بمقدار 15درجة إلى الجنوب، لتفادي الاصطدام. أكرر: تغيير الاتجاه بمقدار 15درجة للجنوب لتفادي الاصطدام..حوّل.

الجهة الأخرى: عُلم... هنا السلطات الكندية، الطلب غير كاف. ننصح بتغيير الاتجاه بمقدار 180درجة... حوّل.

القبطان: ماذا تعني..! أنا أطلب منكم تغيير اتجاهكم بمقدار 15درجة فقط نحو الجنوب لتفادي الاصطدام؟ أما عن سفينتنا فليس ذلك من شأنك... نحن سنغير اتجاهنا بمقدار 15 درجة ولكن نحو الشمال؛ لتفادي الاصطدام أيضاً. حوّل.

الجهة الأخرى: هذا غير كاف. ننصح بتغيير اتجاهكم بمقدار 180درجة، أو على الأقل 130درجة. حوّل.

القبطان: لماذا تجادل وتصر على إصدار الأوامر، دون أن تقوم أنت بتفادي التصادم بالمقدار ذاته؟ نحن سفينة حربية أمريكية، فمن أنتم على أي حال؟

الجهة الأخرى: نحن حقل بترول عائم! ولا نستطيع الحركة!!! احترس.

لكن الوقت كان قد استنفد في هذا الحوار اللاسلكي غير المثمر، واصطدمت السفينة بالحقل البترولي.

والدرس الذي تتعلمه من هذه القصة هو ألا تفترض أن الجهة الأخرى لها مثل مواصفاتك. فليس الهدف الوحيد للاتصال أن تبعث برسالتك إلى الآخرين، بل يجب أن يكون هدفك رباعي الأبعاد؛ أن تفهم الطرف الآخر ثم أن تستقبل رسالته، ثم أن تجعل نفسك مفهوماً، وأخيراً أن تبعث برسالتك إليه.

قصة المرأة

مَتى ما كُنت رجُلاً؛ تكُن لك امرأة..
مَتى ما كُنت ذكَراً؛ تكُن لك أُنثى..
مَتى ما كُنت ملكاً؛ تكُن لك أَميرة..
مَتى ما كُنت عاشِقاً؛ تكُن لك مُتيمة..
فلا تكُن لا شيء وتُريدها أن تكون كل شيء.
عندما تُنفخ فيك الروح: تكون في بطِن اِمرأة..
عندما تبكِي: تكون في حضن اِمرأة..
عندما تعشق: تكون في قلْب امرأة..
رفقاً بها: فالأنثى أمانة، ما خُلِقَتْ للإهانة.

لم يخلق الله المرأة من قدميه حتى لا يطأها، ولم يخلقها من رأسه حتى لا تسود عليه، ولم يخلقها من قلبه حتى لا تكون المحبوب الأول للرجل قبل الله، ولكن خلقها الله من ضلعه الأيسر؛ لتكون جوار القلب ويحبها وتحبه، ويقدرها وتقدره، ويحترمها وتحترمه، ويكون بينهم المودة والرحمة والألفة.

الكلاب والملك

يقال إن ملكاً أمر بتربية 10 كلاب وحشية لكي يرمي لها كل وزير يخطئ فتنهشه وتأكله بشراهة، فقام أحد الوزراء بإعطاء رأي خاطئ لم يعجب الملك، فأمر برميه للكلاب، فقال له الوزير: أنا خدمتك 10 سنوات وتعمل بي هكذا!! أمهلني 10 أيام قبل تنفيذ هذا الحكم، فقال له الملك: لك ذلك.

فذهب الوزير إلى حارس الكلاب، وقال له: أريد أن أخدم الكلاب فقط لمدة 10 أيام. فقال له الحارس: وماذا تستفيد؟ فقال له الوزير: سوف أخبرك بالأمر لاحقاً. قال الحارس: لك ذلك.

قام الوزير بالاعتناء بالكلاب وإطعامها وتغسيلها وتوفير جميع سبل الراحة لها.

وبعد مرور 10 أيام جاء تنفيذ الحكم بالوزير، وزج به في السجن مع الكلاب والملك ينظر إليه والحاشية، فاستغرب الملك مما رآه؛ ذلك أن الكلاب جاءت تنبح تحت قدميه، فقال له الملك: ماذا فعلت للكلاب؟ فقال له الوزير: خدمت هذه الكلاب 10 أيام فلم تنس الكلاب هذه الخدمة، وأنت خدمتك 10 سنوات فنسيت كل ذلك.

طأطأ الملك رأسه، وأمر بالعفو عنه.

الحكمة: لا تنكروا العشرة بسبب موقف عابر، ولا تمحوا الماضي الجميل مقابل موقف لم يعجبكم.

نهاية عام وبداية عام آخر

جلس مؤلف كبير أمام مكتبه وأمسك بقلمه، وكتب:

«في السنة الماضية، أجريت عملية إزالة المرارة، ولازمت الفراش عدة شهور.. وبلغت الستين من العمر، فتركت وظيفتي المهمة في دار النشر التي بقيت أعمل بها ثلاثين عاماً.. وتوفي والدي.. ورسب ابني في بكالوريوس كلية الطب لتعطله عن الدراسة عدة شهور بسبب إصابته في حادث سيارة..».

وفي نهاية الصفحة كتب: «يا لها من سنة سيئة..!!».

ودخلت زوجته غرفة مكتبه، ولاحظت شروده.. فاقتربت منه، ومن فوق كتفه قرأت ما كتب.. فتركت الغرفة بهدوء، من دون أن تقول شيئاً... لكنها، وبعد دقائق عادت وقد أمسكت بيدها ورقة أخرى، وضعتها بهدوء بجوار الورقة التي سبق أن كتبها زوجها.

فتناول الزوج ورقة زوجته وقرأ منها: «في السنة الماضية، شفيت من آلام المرارة التي عذبتك سنوات طويلة، وبلغت الستين وأنت في تمام الصحة.. وستتفرغ للكتابة والتأليف بعد أن تم التعاقد معك على نشر أكثر من كتاب مهم.. وعاش والدك حتى بلغ الخامسة والثمانين بغير أن يسبب لأحد أي متاعب، وتوفي في هدوء بغير أن يتألم.. ونجا ابنك من الموت في حادث السيارة وشفي بغير أيه عاهات أو مضاعفات..».

وختمت الزوجة عبارتها قائلة: «**يا لها من سنة تغلب فيها حظنا الحسن على حظنا السيئ، الحمد لله على كل شيء**».

دائماً ننظر إلى ما ينقصنا.. لذلك لا نحمد الله على ما معنا.

دائماً ننظر إلى ما سُلِبَ منا... لذلك لا نحمد الله على ما أعطانا.

قال الملك سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ﴾ [النمل: 73].

إن ربي وربك الله

الذي ما أشقاك إلا ليسعدك، وما منعك إلا ليعطيك، وما أبكاك إلا ليضحكك، وما حرمك إلا ليتفضل عليك، وما ابتلاك إلا لأنه يحبك.

المنطق والحظ

كان هناك شخص اسمه المنطق والثاني اسمه الحظ..

وكانا راكبين سيارة... وفي منتصف الطريق نفد وقود سيارتهما، وحاولا أن يكملا طريقهما مشياً على الأقدام، قبل أن يحل عليهما الليل، وعلهما يجدان مأوى.. ولكن دون جدوى.

فقال المنطق للحظ: لننمْ حتى يطلع الصبح، وبعدها نكمل الطريق.

فقرر المنطق أن ينام بجانب شجرة، في حين قرر الحظ أن ينام في منتصف الشارع.

قال له المنطق: أمجنون أنت!؟.. ستعرض نفسكَ للموت، من الممكن أن تأتي سيارة وتدهسك...!؟

فقال له الحظ: لن أنام إلا منتصف الشارع، ومن الممكن أن تأتي سيارة فتراني وتنقذنا.

وفعلاً نام المنطق تحت الشجرة... والحظ في منتصف الشارع.

بعد ساعة جاءت سيارة كبيرة مسرعة، ولما رأت شخصاً في منتصف الشارع حاولت التوقف، ولكن لم تستطع، فانحرفت باتجاه الشجرة، ودهست المنطق وعاش الحظ... وهذا هو الواقع...

إن للحظ دوراً مع الناس أحياناً، مع أنه مخالف للمنطق؛ لأنه قدرهما.

فعسى أن يكون تأخيرك عن سفر خيراً لك، وعسى أن يكون حرمانك من زواج بركة، وعسى أن يكون ردك عن وظيفة فائدة، وعسى أن يكون حرمانك من طفل هو لمصلحة العائلة.. وعسى أن تكرهوا شيئاً... وهو خيرٌ لكم

لأنه يعلم وأنت لا تعلم.. فلا تتضايق لأي شيء يحدث لك.

يُقال: لا تكثر من الشكوى فيأتيك الهم.

نحنُ بخير، مَا دُمنا نستطيع النوم من دُون مُسكنات، ولا نَستيقظ عَلى صَوت جهاز طِبي مَوصُول بأجسادنا.

لا تنظر إلى الْخلف؛ فَفِيه مَاض قد يزعِجك، ولا تنظر إلى الأمام فَفِيه مُسْتقبل قد يُقلقك، لَكن انظر إلى الأعلى فَهناك رَب يُسعدك.

قصة نجاح ملك جبنة الموزاريلا

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، بدأ الأب الإيطالي جيسبي سابوتو (Giuseppe Saputo) يبحث عن مكان أفضل للعيش له ولعائلته المكونة من ثمانية أطفال بجانب زوجته ماريا. كان جيسبي يسكن في قرية صغيرة تدعى (Montelepre) بالقرب من مدينة باليرمو الإيطالية. وكان ماهراً في صناعة الجبن. بدأت أنظار هذا الأب تتجه إلى العيش في أمريكا الشمالية. وبعد مقارنة بسيطة اتخذ القرار بالهجرة إلى كندا؛ زعماً منه بأنها أفضل حالاً من أمريكا، وأكثر فرصاً للعمل، وأنسب له ولعائلته.

وفي عام 1950م، ركب جيسبي وابنه الأكبر فرانك السفينة مع بعض المهاجرين الإيطاليين، قاطعاً المحيط الأطلنطي، ومتوجهاً إلى مدينة مونتريال في المقاطعة الفرنسية كيبيك من كندا، والتي تسكنها بعض الجالية الإيطالية. اشتغل جيسبي وابنه كعاملين، وانشغلا في جمع المال القليل تحضيراً لقدوم بقية العائلة في عام 1952م، وما إن وصلت هذه العائلة الكبيرة، حتى اضطروا جميعاً إلى العمل بأي مهنة ليجمعوا منها ما يضعوه على طاولة الطعام في نهاية يومهم.

مرت سنتان منذ وصول العائلة المهاجرة، وظروف الحياة والعمل في مونتريال لم تكن بأسهل من حياتهم في أريافهم الإيطالية. كما أن جيسبي كان قد تقدم به العمر، وساءت عليه الظروف. فبدلاً من كونه أستاذاً في صناعة الجبن، أصبح عاملاً يواجه الشتاء الطويل القرس، والظروف المناخية الصعبة في كندا.

هنا خرج الابن الإيجابي -لينو (Lino) الابن الرابع- وقام بجمع بعض المال من عمله ليحفظ به ماء وجه أبيه، وكان عمره 19 عاماً فقط. وفي أيلول(سبتمبر) من عام 1954م، قام لينو باستئجار محل صغير في وسط مدينة مونتريال بمساحة (3×3,6 متر) دون أن يخبر والده. ثم قام بشراء بعض الأدوات المستخدمة في صناعة الجبن، ودراجة من ماله الذي ادخره والذي كان يبلغ 500 دولار فقط.

أبلغ الابن أباه عن المحل الذي استأجره، والأدوات التي اشتراها، فغضب الأب غضباً كبيراً على تصرفه الأهوج. ثم بعد نقاش وحوار، وافق الأب على خوض التجربة. بدأ الأب وزوجته بصناعة جبن الموزاريلا يدوياً، وكان ينتج يومياً 10 كيلوغرامات. وكان الابن لينو يقوم بتوزيعها على سكان الحي الإيطالي الذي يسكنونه بدراجته. كان الجبن لذيذاً وذا جودة عالية جداً، وأحبه جميع سكان الحي، وأصبح الطلب عليه كبيراً، فهو بجانب جودته يذكرهم بمدنهم الإيطالية التي قدموا منها.

وبعد 3 أشهر فقط، استطاع لينو ووالده أن يجمعوا مبلغاً لشراء شاحنة صغيرة للتوزيع وتوصيل الطلبات. ثم ازداد الطلب، وتوسع الإنتاج تدريجياً، حتى اضطروا إلى الانتقال إلى مكان أكبر، وشراء بعض الماكينات لتصنيع كميات أكبر من الجبن، بعد 3سنوات فقط من بداية تجارتهم. وكان جيسبي يدفع كل شيء نقداً، لأنه كان يخشى من الاستدانة أو الشراكة مع أحد، خوفاً من فقد السيطرة. وكان اسم المحل (Saputo) على اسم عائلتهم.

في نهاية الخمسينيات الميلادية، انتشرت البيتزا عالمياً، ولم تعد مقصورة على الإيطاليين، بل أصبحت أكلة محببة للكثير من شعوب

العالم، وانتشرت بشكل كبير في أوروبا وأمريكا الشمالية، مما زاد الطلب على جبن الموزاريلا لكونه أحد المكونات الرئيسية في البيتزا. هذا التغيّر ساعد جيسبي ولينو على التوسع والانتشار أكثر، ولم يقتصر طلب جبنة الموزاريلا مقصوراً على الحي الإيطالي في مونتريال فقط. فبدأ لينو ووالده بزيادة الإنتاج تدريجياً خلال الستينيات الميلادية، وتوزيع جبن الموزاريلا في المدن الأخرى من مقاطعة كيبيك، وكذلك في ولاية أونتاريو.

حان لأستاذ الجبن أن يترجل، بعد 15 عاماً قضاها في صناعة جبن الموزاريلا اللذيذ، وترك لابنه لينو وصيتين: أن يحافظ على جودة منتجه، وأن لا يتوسع إلا من ماله الذي جمعه من مبيعاته، وليس بالاستدانة أو الشراكة مع أحد حتى لا يخسر قوة التحكم في شركته. وانتقلت إدارة الشركة بكل سلاسة للينو، لأنه صاحب الفكرة ومنفذها مع والده.

لينو ابن الثالثة والأربعين كان داهية من الدواهي في عالم التجارة، وصاحب رؤية ثاقبة اكتسبها من ممارسة الحياة العملية. وضع لينو خطة التوسع في مرحلة السبيعنيات بشراء مصانع الجبن في منطقته، والانتقال من شركة تصنيع جبن إلى شركة تصنيع الألبان ومشتقاتها، ثم ساعده أخوه الأصغر جون لينشئ شركة توزيع محلية لتقوم بتوزيع منتجات شركة (Saputo) وفي خلال سنوات قليلة، تزيد (Saputo) إنتاجها من جبن الموزاريلا لتصبح المسؤولة عن 1/ 3 الإنتاج المحلي على مستوى الدولة، محافظة بجانب ذلك على جودة إنتاجها. يقول لينو: «في كل يوم، أقوم بالنزول إلى المصنع وأتذوق الجبن. فإن لم يعجبني طعمه، طلبت من الموظفين أن يصنعوا غيره».

وفي الثمانينيات، قام لينو بالتوسع بشركته جغرافياً؛ بادئاً من مقاطعات كندا المجاورة، ثم دخولاً على أمريكا. ثم قام بحركة أدهى في التوسع، فبدلاً من أن يقوم بشراء الحليب من الشركات الموردة، قام بشراء تلك الشركات، ثم مزارع الألبان التي تبيع عليها، ليضمن بذلك سلسلة متكاملة مؤمّنة بدءاً من البقرة، ونهاية بكيس جبنة الموزاريلا المغلف موضوعاً على رفوف السوبرماركت. كما أن انتشاره الجغرافي بين مقاطعات كندا وأمريكا يضمن له تقليل نسبة أثر المخاطر عليه، ممتثلاً بالمثل المشهور: «**لا تضع كل بيضك في سلة واحدة**».

في بداية التسعينيات الميلادية، قام لينو بإدخل شركة (Saputo) في سوق الاكتتابات والأسهم، محافظاً على حصة العائلة من الشركة بنسبة 80 ٪. واستمر على سياسته التوسعية بشراء مزارع ومصانع الحليب ومشتقاته، وكان يصنّع ما نسبته 76 ٪ من مجموع إنتاجه في مصانع كندا، و15 ٪ في مصانعه بأمريكا، و9 ٪ من مصانعه الأخرى حول العالم. وأصبح 40 ٪ من جبن الموزاريلا الموجود في الأسواق الكندية من إنتاج شركة (Saputo) حتى لُقّب لينو ب"ملك الموزاريلا".

في عام 1999م، قام لينو بتنويع تجارة شركته، وقام بشراء شركة مخبوزات مشهورة، تبيع الكيك والشربة والفطائر الجاهزة والكعك، مستغلاً بذلك قوة شركة التوزيع التي أنشأها مع أخيه جون فيما سبق واستغلالها الاستغلال الأمثل. وحتى تبقى رديفاً احتياطياً بجانب شركات الألبان والأجبان.

وفي عام 2001م، أصبحت (Saputo) الشركة الأولى للألبان والأجبان في كندا، وخامس أكبر شركة للألبان ومشتقاتها في أمريكا

الشمالية. وفي عام 2003م، قام لينو بالتوسع خارج أمريكا الشمالية بالاستحواذ على ثالث أكبر شركة ألبان ومشتقاتها في الأرجنتين.

وفي عام 2004 م، حان لملك الموزاريلا أن يترجل هو الآخر، عندما بلغ نهاية الستين من عمره، وبعد أن قضى 35 سنة رئيساً لهذه الشركة المغامرة الكبيرة. لقد كان عصره عصراً ذهبياً لشركة (Saputo)، فقد بلغت مبيعات الشركة لهذا العام فقط 3,57 مليار دولار، في صعود متواصل عن الأعوام السابقة الأخرى. وكان نصيب عائلة(Saputo) ما نسبته 58 ٪ من ملكية الشركة. وبلغت ثروة لينو الشخصية أكثر من 2,5 مليار دولار، بعد أن بدأها ب 500 دولار قبل 50 عاماً.

للنجاح بداية، فابدأ الآن ولا تؤجلها للغد.

قصة الباذنجانة

قال الشيخ علي الطنطاوي في مذكراته: في دمشق مسجد كبير اسمه جامع التوبة، وهو جامع مبارك فيه أنس وجمال، سمي بجامع التوبة لأنه كان خاناً ترتكب فيه أنواع المعاصي، فاشتراه أحد الملوك في القرن السابع الهجري، وهدمه وبناه مسجداً. وكان فيه منذ نحو سبعين سنة شيخ مربٍّ عالم عامل اسمه الشيخ سليم السيوطي، وكان أهل الحي يثقون به ويرجعون إليه في أمور دينهم وأمور دنياهم، وكان هناك تلميذ مضرب المثل في فقره وفي إبائه وعزة نفسه، وكان يسكن في غرفة المسجد.

مرّ عليه يومان لم يأكل شيئاً، وليس عنده ما يطعمه ولا ما يشتري به طعاماً، فلما جاء اليوم الثالث أحس كأنه مشرف على الموت، وفكر ماذا يصنع، فرأى أنه بلغ حدّ الاضطرار الذي يبيح له أكل الميتة أو السرقة بمقدار الحاجة، وآثر أن يسرق ما يقيم صلبه. يقول الطنطاوي:

وهذه القصة واقعة أعرف أشخاصها، وأعرف تفاصيلها، وأروي ما فعل الرجل، ولا أحكم بفعله أنه خير أو شر، أو أنه جائز أو ممنوع. وكان المسجد في حيّ من الأحياء القديمة، والبيوت فيها متلاصقة والسطوح متصلة، يستطيع المرء أن ينتقل من أول الحي إلى آخره مشياً على السطوح، فصعد إلى سطح المسجد، وانتقل منه إلى الدار التي تليه، فلمح بها نساء، فغض من بصره وابتعد، ونظر فرأى إلى جانبها داراً خالية، وشمّ رائحة الطبخ تصدر منها، فأحس من جوعه لما شمها كأنها مغناطيس تجذبه إليها، وكانت الدور من طبقة واحدة، فقفز قفزتين من السطح إلى الشرفة، فصار في الدار، وأسرع إلى المطبخ، فكشف غطاء القدر، فرأى بها

باذنجاناً محشواً، فأخذ واحدة، ولم يبال من شدة الجوع بسخونتها، عض منها عضة، فما كاد يبتلعها حتى ارتد إليه عقله ودينه، وقال لنفسه: أعوذ بالله، أنا طالب علم مقيم في المسجد، ثم أقتحم المنازل وأسرق ما فيها؟؟ وكبر عليه ما فعل، وندم واستغفر، ورد الباذنجانة، وعاد من حيث جاء، فنزل إلى المسجد، وقعد في حلقة الشيخ وهو لا يكاد -من شدة الجوع- يفهم ما يسمع، فلما انقضى الدرس وانصرف الناس، جاءت امرأة مستترة، ولم يكن في تلك الأيام امرأة غير مستترة، فكلمت الشيخ بكلام لم يسمعه، فتلفت الشيخ حوله فلم ير غيره، فدعاه وقال له: هل أنت متزوج؟ قال: لا، قال: هل تريد الزواج؟ فسكت، فقال له الشيخ: قل هل تريد الزواج؟ قال: يا سيدي ما عندي ثمن رغيف والله، فلماذا أتزوج؟ قال الشيخ: إن هذه المرأة خبرتني أن زوجها توفي، وأنها غريبة عن هذا البلد، ليس لها فيه ولا في الدنيا إلا عم عجوز فقير، وقد جاءت به معها -وأشار إليه قاعداً في ركن الحلقة- وقد ورثت دار زوجها ومعاشه، وهي تحب أن تجد رجلاً يتزوجها على سنة الله ورسوله، لئلا تبقى منفردة، فيطمع فيها الأشرار وأولاد الحرام، فهل تريد أن تتزوج بها؟ قال: نعم. وسألها الشيخ: هل تقبلين به زوجاً؟ قالت: نعم. فدعا بعمها ودعا بشاهدين، وعقد العقد، ودفع المهر عن التلميذ، وقال له: خذ بيدها، وأخذت بيده، فقادته إلى بيته، فلما دخلته كشفت عن وجهها، فرأى شباباً وجمالاً، ورأى البيت هو البيت الذي نزله، وسألته: هل تأكل؟ قال: نعم، فكشفت غطاء القدر، فرأت الباذنجانة، فقالت: عجباً من دخل الدار فعضها؟؟ فبكى الرجل وقص عليها الخبر، فقالت له: هذه ثمرة الأمانة، عففت عن الباذنجانة الحرام، فأعطاك الله الدار كلها وصاحبتها بالحلال.

قصة إسلام غريبة

قصتي مع الرجل الإيطالي زيرفان سليمان البرواري.

أراد الله أن أتقابل معه في إحدى المناطق السياحية في جدة، عندما كانت زوجته تحاضر في قاعة مغلقة للنساء، وأراد أن يكلمني ويحكي لي قصته، فقد كان حريصاً على إبلاغي بها، وباختصار شديد قال لي: أريد أن أخبرك قصتي. وكان يتكلم العربية المكسرة مع الإنجليزية المختلطة بالإيطالية.

وإذ إنني أفهم وأتحدث الإنجليزية بطلاقة مع بعض الإيطالية، فبفضل الله لم أواجه أي مشكلة في استيعاب ما يقول...

عندما بدأ قصته شعرت بقشعريرة سرت في جسدي، حيث قال لي قصةً أعتقد بأنني سأكون مخطئاً إن لم أبلغها للناس، وقد أوصاني بإبلاغها، فاستمعوا إلى ما يقول: (أنقلها لكم على لسانه):

يقول: كنت شاباً أجوب شوارع ميلانو (مدينة إيطالية صناعية شهيرة)، ألبس الحلق (الأقراط) في أذني اليسرى، وأفعل المحرمات بأشكالها وألوانها، وأشرب الخمر. إلى أن جاء ذلك اليوم الذي بدل حياتي وقلبها رأساً على عقب.

يتابع حديثه قائلاً: عملت في مصنع للملابس، وكان اسمي مركباً بالإيطالية، يظن من يسمعه أنني من أصل بوسني، وفي ذات مرة ناداني رئيسي في العمل، وهو مخمور كعادته، إلا أنه في هذه المرة أخذ يسب ويشتم المسلمين، وينظر إلي يعتقد أنني مسلم، وهو لا يدرك -بسبب سكره- أنني مثله لا صلة لي بالبوسنيين ولا بالإسلام، ولكني كنت

أسمع وأقرأ عنهم للثقافة العامة فقط. ثم قال لي: «أنتم أيها المسلمون كنتم في يوم من الأيام أسياد هذا العالم، أما اليوم فأنتم عبيد لنا، وتعملون عند أقدامنا».

لا أدري ما الذي حصل لي، وأنا أستمع إلى ذلك الحاقد علي، وهو ثمل نجس يفرغ شحناته المريضة.

لقد شعرت وكأن الدم يفور في عروقي، فقد كان طبعي عصبياً، ولم أدر بماذا أجيب وقتها. فقد فاجأني، فأحببت أن أستفزه بقولي، ولم أشعر إلَا وأنا أقول له لاشعورياً: «هل تعرف محمداً؟».

قال: «ماذا تريد؟ تكلم بسرعة!».

قلت: «عندما كان المسلمون متمسكين بالقرآن، ويطبقون أحكامه، كانوا يسودون العالم، ولكن بعد أن تركوه ولم يطبقوا ما فيه من تعاليم ساد الفساد والانحراف العالم، والآن أنا سأخرج من مكتبك! أتعرف لماذا؟».

نظر إلي دهشاً غاضباً! وهو يقول: لماذا؟

قلت: سأذهب لأشتري قرآناً مترجماً باللغة الإيطالية، حتى أقرأه وأطبق ما فيه وأرجع إليك فأدوسك تحت قدمي.

خرجت من مكتبه وقد ألجمت المفاجأة لسانه، وطبعاً فقد طردني من العمل.

ذهبت إلى غرفة سكني المشتركة مع زملاء لي، ودخلت الحمام، غسلت وجهي وأنا أبكي بكاء حارقاً مؤلماً، فقد كنت أعاني قلة المال والحيلة، وفقراً شديداً.

خرجت من الحمام، ثم سجدت منهاراً على الأرض وأنا أبكي، حتى ظن من معي في الغرفة بأنني قد أصبت بالجنون! ولم أكن أعلم

حينها أن تلك كانت بداية هدايتي في رحلتي المثيرة مع الإسلام.

يتابع قوله: بعد أن سجدت باكياً، سرَتْ في جسدي قشعريرة وراحة لم أشعر بها في حياتي، وخرجت من ذلك البيت متوجهاً إلى المركز الثقافي الإسلامي بمدينة ميلانو، حيث اُستُقبلت بحفاوة وحب، وأشهرت إسلامي فوراً، لعلي أجد حلاً لمشكلتي وفقري.

ثم خرجت أنا ورجلين من المركز الإسلامي، وتوجهنا إلى إحدى الحدائق العامة نتبادل أطراف الحديث عن الإسلام، وكان الجو غائماً بارداً شديد البرودة. وبينما نحن في الحديقة نمشي إذ دخل وقت صلاة الظهر، فذهبنا إلى أحد ينابيع المياه داخل تجويف في إحدى الأشجار، وقام أحدهم بتعليمي الوضوء، وكان الماء بارداً جداً، إلا أنني كنت مستمتعاً بالبرودة، وكان اثنان من العشاق مسترخيان تحت الشجرة ذاتها، ولما رأيا طريقة اغتسالي بالماء وغسل قدمي في ذلك الجو البارد توقفا عما كانا يفعلانه! وأذكر علامات الذهول على وجهيهما.

ثم سألني الرجل بتطفل خجول: ماذا تفعل؟ إن الجو بارد!!

فقلت: هكذا يجب أن نتطهر لنتعبد ونقابل خالق الكون ونصلي له. ثم أذَّن صاحبي المرافق لي أذان الظهر، وأقمنا الصلاة في داخل الحديقة وسط ذهول الموجودين. ووالله ما إن انتهينا من الصلاة حتى كان عددنا قد أصبح عشرين رجلاً، فقد تصادف وجود مجموعة من المسلمين العرب في الحديقة نفسها، فانضموا لنا في الصلاة.

ولكن المفاجأة!!! أنه ما إن انتهينا من الصلاة حتى وقف ضابط إيطالي يبدو أن عمره في الخمسينات، كان واقفاً يراقبنا بكامل زيه العسكري، ثم تقدم واقترب من الإمام الذي صلى بنا بعد انتهائنا من

الصلاة، وكنت أستمع جالساً للمحادثة:

سأل الضابط بتعجب: ماذا تفعلون؟

فأجاب صديقي الإمام: نصلي لله تعالى.

قال الضابط: وما هذا الدين؟

قال الإمام: الإسلام.

قال بتعجب بالغ: الإسلام! ولكن الإسلام دين سفك دماء وإرهاب وقتل!!

رد الإمام بكل هدوء وثبات: ليس كذلك؛ بل الإسلام دين محبة ودين سلام.

ثم استأذناه قائمين للانصراف.

فقال الضابط بصوت كأنه ينادينا فيه: وكيف يمكن لشخص أن يكون مسلماً؟

قال الإمام ببساطة: يذهب إلى المركز الإسلامي يعلن إسلامه.

قال الضابط: أريد أن أدخل في هذا الدين!

قال الإمام: لماذا؟ ظنه يستهزئ، فأحب أن يختبره.

فقال الضابط: نحن نعلِّم الطلاب الملتحقين بالجيش ست سنوات كيف ينضبطون في صف واحد، ويتحركون معاً بإتقان، وأنتم خلال خمس ثوان اصطف عشرون رجلاً لا يعرف بعضكم بعضاً وتبعتم إمامكم بكل دقة وانضباط! أشهد أن الذي علمكم هذا ليس بشراً بل لا بد أن يكون رب هذا الكون المستحق للعبادة.

اقشعر جسدي وأنا أستمع من الرجل الإيطالي قصته، فقلت له: أكمل، فقال:

أتعلم أن ذلك الضابط -واسمه الآن «عبد الرحمن»- قد أسلم وحسن إسلامه، وإذا أردت أن تعرف مكانه الآن فهو في مترو الأنفاق، قد تقاعد من الجيش وتسلم مستحقاته، ومن بينها بطاقة مجانية للمواصلات، يدخل المترو المكتظ بالناس من الصباح إلى المساء، وقد أطلق لحيته البيضاء، واستنار وجهه كأنه البدر، يدعو الجالسين بالقطار إلى الإسلام، يبدأ باللغة العربية بكلمته المعتادة قائلاً: «أشهد أن الله حق، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم حق، وأن الجنة حق، وأن النار حق وأن يوم القيامة حق»، ثم يكمل المواعظ باللغة الإيطالية، فيخرج معه عند الوصول إلى محطة النزول عشرة إلى خمسة عشر شخصاً يشهرون إسلامهم فيما بعد، وهذا حاله يومياً منذ أن أعلن إسلامه!!

يتابع الإيطالي سارداً لي القصص العجيبة التي رآها وسمعها بنفسه، فيقول: وفي أحد الأيام، وبينما أنا في المركز الإسلامي في إيطاليا، إذ تقابلت مع شاب إيطالي أعطاه الله من جمال الشكل والوسامة الشيء الكثير، ملتح يتلألأ وجهه نوراً، اسمه أحمد، فسألته عن أحواله ومن أي المدن هوٍ، فحدثني أحمد عن نفسه قائلاً:

أنا من مدينة ميلانو، وكنت أعيش فيها، وعندما كان عمري لا يتجاوز الثالثة والعشرين ورثت عن والدي المتوفى مبالغ كبيرة جداً، وقصوراً ومصانع وسيارات فارهة، حتى كنا نعد من العائلات ذات الثراء الفاحش في إيطاليا. لم يكن يعيش في القصر معي سوى أمي وأختي، لكني أعيش في الظلام، فكنت لا أترك يوماً من عمري من دون عشيقة وخمر ومخدرات منذ اللحظة التي أستيقظ فيها حتى أنام، فأدمنت المخدرات بكل أصنافها وأنواعها!

كنت إذا رجعت إلى القصر على هذه الحالة، وأجد أمي أمامي، أقوم بضربها ضرباً شديداً وأدخل غرفتي وأنام، وكان هذا حالي معها كل يوم تقريباً، حتى إنها أصبحت تتحاشاني، وتختبئ مني حتى أفيق من سكري.

كنت إذا خرجت من باب قصري بسيارتي الفارهة، أجد عند الباب أكثر من إحدى عشرة فتاة من أجمل الجميلات، ينتظرنني ليركبن معي، وأتسلى بمن يقع عليها الاختيار في ذلك اليوم، ثم أبدلها بأخرى في اليوم التالي. ومع ذلك لم أشعر بالسعادة يوماً، فقد كنت أشعر بضيق شديد يعتصر صدري، كنت عابس الوجه، غليظاً شديد العصبية.

خرجت في أحد الأيام إلى أحد المقاهي في فترة الظهيرة، ولم أرغب باصطحاب أي من الفتيات معي، فاشتريت جريدةً، وطلبت كوباً من القهوة، وجلست أقرأ في المقهى على طريق المشاة، فإذا أنا برجل يقف بهدوء خلف كتفي يسألني مبلغ مئة ليرة إيطالية، ويقول: أريدها ديناً أرجعه لك بعد شهر. (والمئة ليرة إيطالية مبلغ زهيد جداً لا يكاد يساوي شيئاً)، لكنني لم ألتفت إليه، واكتفيت بأن أخرجت المبلغ من جيبي ورفعت يدي إلى الخلف، وسلمته النقود من دون أن أنظر إليه، وقد طلبت منه الانصراف لأنني لا أحب المتسولين، فلم أكن أطيق النظر إليهم.

وبقيت على حالي هذا، وبعد شهر تقريباً كنت في المقهى ذاته أحتسي قهوتي كعادتي، وإذا بذلك الرجل يعود إلي ويضع يده على كتفي مرة أخرى، فالتفت إليه وكان كبيراً ذا لحية بيضاء، وجرى بيني وبينه الحوار التالي:

أحمد: ماذا تريد؟

الرجل: قد استلفت منك مبلغاً من المال قبل شهر، ألا تذكر؟ وهذا هو المبلغ أرجعه إليك في الموعد!

أحمد (بغضب شديد): هل أنت مجنون أيها الغبي؟! أنت تعلم أن من يأخذ هذا المبلغ الزهيد لا يرجعه ولو كان دَيناً.

الرجل (بكل هدوء وثبات): ولكن ديني أمرني إذا أخذت أو استلفت شيئاً أن أرجعه مهما كان صغيراً.

أحمد غاضباً: وما دينك هذا؟

الرجل: الإسلام.

أحمد: الإسلام!!! ولكن الإسلام دين قتل وإراقة دماء وإرهاب وتخلف!

الرجل: بل الإسلام منهج حياة وسعادة لمن أحسن تطبيقه بطريقه صحيحة.

يقول أحمد: ما إن سمعت كلمة سعادة من ذلك الرجل -الذي شابت لحيته ورَقَّ ثوبه وعلى وجهه ابتسامة حسدته عليها- حتى قلت في نفسي: لا بأس، سأدفع مالي كله من أجل لحظة أشعر بها بما يشعر به هذا المسكين من سعادة ورضا.

ورأيت في يده ورقة مطوية، فسألته: ما هذا الذي في يدك؟

قال: بعض الكلمات عن الإسلام، فأخذتها من يده وقلت: هل تسمح لي بقراءتها؟ قال الرجل: بل هي لك، ثم ذهب ولم يلتفت إلي.

فناديته ثم قلت له: هل تسكن قريباً من هنا؟

قال: نعم.

قلت: هذه المطوية صغيرة جداً، أريد أكثر لأقرأ.

قال الرجل: سأحضر لك كل يوم في هذا المكان مطوية جديدة عن الإسلام، وأنت تشرب قهوتك.

أخذ أحمد يحرص على ارتياد ذلك المقهى ليقرأ المطوية، وكان ذلك الرجل حريصاً على الحضور إلى المقهى بالمطوية، وفي الوقت المحدد.

يقول أحمد: بعد أن قرأت عشر مطويات تقريباً شرح الله صدري للإسلام، فأتيت المركز الإسلامي، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وغيرت اسمي إلى أحمد، وبدأت أتعلم الدين الإسلامي وتطبيق منهجه.!!

بدأت أمي تلاحظ التغير الذي حصل لي، فقد أصبحت عندما أدخل القصر أذهب إلى غرفتي مباشرة من دون أن أضربها، بل على العكس أصبحت أقبلها إذا رأيتها، فاستوقفتني مرة وهي خائفة حذرة، إذ كانت ترى آثار لحيتي بدأت تظهر على وجهي، وقالت لي: ما الذي جرى لك يا بني؟ قلت: ما بك يا أمي، لماذا أنتِ خائفة؟

قالت: كنتَ يا بُني إذا دخلتَ البيت تضربني، والآن أنت تقبل يدي ورأسي، ولك أيام على ذلك فهل حدث لك شيء؟

قال أحمد: نعم؛ لقد دخلت في دين الإسلام.

قالت: وهل أمرك هذا الدين بتقبيلي؟

قال أحمد: نعم، وأمرني بالإحسان إليك!

قالت أمي مباشرة: أريد أن أدخل في هذا الدين! وأسلمت أمي.

استبدلت بالصليب المعلق على حائط غرفتي لفظ الجلالة، واشتريت ترجمة للمصحف باللغة الإيطالية، ووضعته في غرفتي.

وفي أحد الأيام، وبينما أنا أهم بدخول غرفتي، إذا بي أفاجأ بأختي قد دخلت غرفتي وجلست وبين يديها ترجمة المصحف تقرؤها في ذهول عجيب. لم أدخل الغرفة، وتركتها، ولم أشعرها برؤيتي لها حتى أسلمت بنفسها دون أن أتكلم بكلمة.

ومن العجائب التي حدثت لي أنه ما إن أعلنت إسلامي واغتسلت، وبدأت بتطبيق شعائر الإسلام، حتى ذهب عني إدماني للمخدرات فوراً من دون مستوصفات أو مستشفيات أو عيادات نفسية، فعلمت أن الإسلام يغسل ما قبله، ويمسح كل ما فات، فزاد يقيني وتمسكي بالله.

ثم يقول أحمد غاضباً، وبنبرة صوت جادة: لقد أضعت من عمري سنين في الملذات والشهوات والكفر بالله، وأعداء الدين ينصبون المكائد لأهل الإسلام، ويحاربون دين الله، ويثيرون الفتن، ويفترون على الله الكذب، وإني أُشهِد الله الذي لا إله إلا هو، وبما علمت من الحق لأسلطن أموالي كلها، وما بقي لي من حياة، لنشر هذا الدين في إيطاليا، ولو كره الكافرون... وكان هذا آخر كلامه معي قبل أن نفترق. فسبحان من أبدل قلبه في لحظة صدق!

تابع الرجل الإيطالي حديثه لي بعد أن سرد لي القصص السابقة، ثم أخذ يكمل قصة حياته بعد هدايته، حيث تزوج من فتاة شابة إيطالية من أصل بوسني، ولم يكن صعباً عليه إقناعها بالالتزام؛ فقد كانت مهيأة، وتعرف بعضاً من اللغة العربية، ودأب هو وهي على خدمة الدين؛ حيث قاموا بإنشاء مركز جديد لتعليم الإسلام للصغار في إيطاليا، عبر ما يسمى دور رعاية الأطفال المسلمين، وكان الإقبال

عليهم عظيماً، حتى من الجاليات غير المسلمة، ثم أنجبا ثلاثة أبناء وابنتين، كلهم حفظة لكتاب الله تعالى.

ثم قطع حديثه وقال: أتريد أن أسمعك بعضاً مما يحفظون، فقلت: تفضل. ونادى أبناءه، ثم أوقفهم لي كأنهم في طابور الصباح يتلون القرآن واحداً بعد الآخر، وهم يجيدون تقليد الشيخ الحذيفي والشيخ عبد الله بصفر، وكان أصغرهم يبلغ من العمر ست سنوات، يتلو القرآن صحيحاً مجوداً، فتعجبت من ذلك، ولكن لا عجب من نور الله إذا استفاض في قلوب من كتبت لهم الهداية.

تلك قصتي مع ذلك الرجل.

إلى كل من يعيش بلا هدف

كان الراكب بجانبي في الطائرة رجلاً كبيراً في السن، من بريطانيا.. عرف نفسه بأنه يعمل مستشاراً في واحدة من كبرى الشركات السعودية..

حينما عرفته بنفسي وأنني مهتم بالطفولة.. قال لي وهو يبتسم: سأخبرك إذن قصتي مع ولديّ..

هذا الرجل لديه ابنان.. حينما كان ابناه في المرحلة الابتدائية العليا.. لاحظ عليهم قلة اهتمامهم بدروسهم.. فأخذ يوماً يتحدث معهما.. وكان يعرف شغفهما الشديد بالسيارات.. فسألهما عن السيارة التي يريدان اقتناءها عندما يكبران.. فهتف الاثنان معاً: «فيراري!»..

فقال لهما على الفور: إذن ما رأيكما أن نذهب الآن ونشاهد السيارة الفيراري التي ستشتريانها؟..

وطار الولدان من الفرحة.. وبالفعل أخذهما والدهما إلى معرض سيارات فيراري.. دخلوا المعرض.. واستقبلهم البائع.. وحين سأل الأب كيف يمكن أن يساعده أجابه الأب: «ولداي يريدان شراء سيارتي فيراري»..

قال لي الأب إن الحظ ساعده يومها بأن البائع فهم الرسالة.. وتعامل بكل ود معهم.. فأخذ يعامل الولدان وكأنهما مشتريان حقيقيان.. طلب منهما أن يختارا السيارة التي يريدان.. وفعلاً اختار الولدان إحدى السيارات المعروضة.. وأخذا يتأملانها ويتلمسانها بكل شغف.

ثم عرض البائع عليهما أن يفتحا السيارة، وأن يجلسا فيها ويشاهداها من الداخل.

وكاد الولدان حينها أن يجنّا من الفرحة.. فدخلا سيارة الفيراري وهما لا يكادان يصدقان نفسيهما.. أخذا يتبادلان الجلوس خلف المقود، ويمثلان وكأنهما يقودان السيارة..

كان يوماً لا ينسى.. ثم شكر الأب البائع.. وقَبْل أن يغادروا صالة الفيراري.. قال الأب لولديه: «لقد نسينا أن نسأل عن قيمة هذه السيارة!».. والتفتوا إلى البائع، وسألوه عن السعر.. وسأله أيضاً عن قيمة القسط الشهري لو أرادوا شراء السيارة بالأقساط.. ثم طلب الأب من ولديه أن يسجلا هذه المعلومات على ورقة ويحتفظا بها.

حينما عادوا إلى المنزل.. كان الولدان يتحدثان طول الوقت عن السيارة التي شاهداها.. كانا مفعمين بالإثارة.. جلس الأب حينها معهما، وبدأ في الحديث.. قال لهما إن هذه السيارة غالية الثمن.. وإذا ما أرادا الحصول عليها فيجب أن يكونا في وظيفة مرموقة حينما يكبران، تدر عليهما دخلاً جيداً.. حتى يتمكنا من دفع القسط الشهري المرتفع.

وبحسبة بسيطة معهما حددوا معاً كم يجب أن يكون الراتب الشهري لمن يريد أن يشتري سيارة الفيراري..

في اليوم التالي.. اتجه الأب مع ولديه إلى المكتبة العامة.. هناك استعرضوا التقارير السنوية عن معدل دخل مختلف الوظائف في بريطانيا.. وقاموا بإلغاء كل وظيفة يقل دخلها عن الدخل الذي حددوه بالأمس لشراء سيارة أحلامهم.. وفي النهاية توصلوا إلى عدد قليل من الوظائف.. أوضح لهم الأب أن الحصول على إحدى هذه الوظائف سيضمن لهما الوصول إلى هدفهما..

ثم إنهم، وعن طريق المعلومات المتوافرة في المكتبة، حددوا معاً كيف يمكن لأي شخص أن يصل إلى واحدة من هذه الوظائف، ما الشهادات المطلوبة.. وعن طريق أي كلية أو جامعة يمكن الحصول على هذه الشهادات.. ومن ثم كوَّنوا قائمة أخرى بالجامعات والكليات مرتبطة بالقائمة الأولى..

بعد ذلك أخذوا يبحثون عن متطلبات القبول في هذه الجامعات والكليات؛ من معدل دراسي وما إلى ذلك.. وسجلوا كل ذلك في قائمة ثالثة..

ثم عادوا إلى المنزل..

هناك جلس أبوهم معهم.. وناقشهم في كل ما قاموا به.. وهو يغذي حلمهم الكبير.. ثم قال لهم إن أول خطوة عليهم أن يقوموا بها الآن ليصلوا إلى ما يريدون هو أن يتفوقوا في دراستهم حتى يحصلوا على الدرجات المطلوبة التي ستؤهلهم للدخول في الجامعات المذكورة في القائمة..

ثم تركهم أبوهم مع كل هذه القوائم التي أعدوها معاً.

ترى كيف كانت نتيجة كل هذه الحكاية الطويلة؟

قال لي أبوهم إن ولديه، ومنذ ذلك اليوم، التفتا إلى دراستهما بشكل غير معهود.. أصبحا يوليان دراستهما وواجباتهما اهتماماً كبيراً.. وكل ما كان يفعله، بين لحظة وأخرى، هو أن يشجعهما ويذكرهما بحلمهما الكبير.

وحقاً تفوقا في دراستهما، وتم قبولهما على الفور في الجامعات التي يريدان، وبدأا حياتهما العملية في القطاعات التي اختاراها من ضمن تلك القائمة.

والآن، هما في أواسط العشرينات، أصبح أحدهما مديراً للفرع البريطاني لواحدة من سلاسل المطاعم المشهورة، وهو على وشك الزواج، والثاني يعمل في وظيفة مرموقة في واحدة من الشركات الكبرى في الشرق الأوسط..

بعد أن أنهى جاري قصته.. سألته:

وهل حققا ما يريدان الآن؟ هل بلغا هدفهما واقتنيا سيارة الفيراري التي يريدان؟

أجابني ضاحكاً، بأن الابن الأكبر اقتنى سيارة بورش بعد أن أصبح معجباً بها أكثر، أما الثاني فهو لا يزال معجباً بالفيراري وسيقتنيها قريباً.

ترى من منا يناقش مع أولاده مستقبلهم في هذا العمر المبكر؟!

لا أقصد هنا أن نسألهم السؤال المعهود: ماذا تريد أن تصبح عندما تكبر؟.. ليجيب الطفل بجواب تم تلقينه إياه بأنه سيصبح مهندساً أو طبيباً؛ بل أعني وضع أهداف واضحة لهم يعشقونها، ومن ثم رسم الطريق الذي سيصل بهم إلى هذه الأهداف، بداية من سنواتهم الأولى في الدراسة.

وأنا على يقين من أن التواصل مع أبنائنا بهذه الطريقة العملية، سيمنحهم مستقبلاً أفضل، وأكثر روعة، ونجاحاً.

قصص الحمقى

مالك مطعم ياباني يدعى نيتيرو إيتو قرر ترشيح نفسه كعضو في مجلس المدينة. ولكسب تعاطف الناخبين اتفق مع أربعة «بلطجية» على ضربه كي يدخل المستشفى ويخوض الانتخابات من فوق السرير الأبيض. ومقابل عشاء مجاني وافقوا على ضربه بطريقة فنية مدروسة ومتفق عليها.. ولكن يبدو أن إحدى اللكمات لم تكن مدروسة بشكل كاف فسقط على درجة المطبخ وأصيب بنزف دماغي تسبب بوفاته!!

***

ومن فرنسا وقع حادث سير للشاب دان لوبيه على إحدى الطرق السريعة. وقد خرج من هذا الحادث، مع أنه كان مروعاً، سليماً معافى، ولم يصب حتى بخدش صغير، غير أن بعض المتجمهرين نصحوه بتصنع الإصابة كي تدفع له شركة التأمين تعويضاً مناسباً.. وهكذا استلقى أمام السيارة متصنعاً الإصابة، ولكن السيارة سرعان ما انحدرت من مكانها فدهسته قبل أن تحترق وهو تحتها وتحوله إلى مقانق بشرية!!

***

أيضاً هناك ميكانيكي من ولاية ميتشغان كان يزرع الحشيش داخل ورشته، وفي كل مرة يتسلط عليها مراهقون يسرقونها قبل موعد القطاف. وعلى طريقة أفلام الأكشن ثبت مدفعاً رشاشاً على سطح الورشة وربطه بحبل شبكه بالباب. وكانت الخطة تعتمد على أن من يفتح باب الورشة سيسحب بالضرورة الحبل الذي سيسحب بدوره الزناد فينطلق وابل الرصاص باتجاهه. وكي يبتعد عن موقع الحدث

سهر طوال الليل في حانة قريبة، وحين عاد كان قد ثمل حتى النهاية، فنسي الخطة من أساسها، ففتح الباب بنفسه (وتعرفون ماذا حصل).. مزقه الرشاش إرباً إرباً!!

***

مزارع قديم كان يملك أعداداً هائلة من النخيل.. وكانت من بينها نخلة يحبها (ويغليها) ويحسده أهل القرية على جودة تمورها. وخلال عامين متتاليين سطا عليها لص يسرقها قبل ليلة واحدة من موعد قطافها. وبسبب دقة توقيت السارق، أيقن أنه أحد جيرانه الذين يتجمعون لديه كل ليلة لشرب القهوة.. وفي السنة التالية تعمد الحديث عن سرقة النخلة، وكرر على مسامعهم أنه سيجنيها في اليوم الفلاني (وكرر الموعد أكثر من مرة).. وقبل حلول الموعد بليلة جهز بندقيته وبات خلف ربوة صغيرة في مزرعته بانتظار السارق ليرديه قتيلاً..

ولم يطل انتظاره كثيراً؛ فقد حضر رجل يتوكأ على عصاه لم يتبين ملامحه في البداية.. ولكن حين اقترب أكثر أصيب بالذهول والصدمة، إذ لم يكن غير جاره الأعمى «أبو سعد». ومن فرط الفضول تخلى عن بندقيته وقرر البقاء ليرى كيف يمكن لرجل أعمى أن يسرق نخلة باسقة الطول... أما أبو سعد فتحسس طريقه نحو النخلة، وأخرج حبلاً لفه حولها، ثم ربطه خلف ظهره (بحيث أصبح هو والجذع ضمن دائرة الحبل)، وبدأ يتسلق بالطريقة التقليدية المعروفة. واستمر بالصعود حتى اصطدم رأسه بسعف النخلة فعرف أنه وصل إلى القمة، فأخذ يقطع عراجين التمر ويرميها على الأرض.. وحين انتهى، نزل بالطريقة نفسها، وجمع الغلة وذهب إلى بيته..

عندها استخسر فيه المزارع ثمن الرصاصة (وخسارة سمعته بقتل رجل أعمى)، فقرر الانتقام منه بطريقة ماكرة.. وهكذا كتم حقده سنة كاملة حتى حان الموعد من العام القادم، فتحدث (أمام أبو سعد) عن موعد القطاف وقال: «عسى أن تسلم النخلة هذا العام من سارقها».. وفور حلول الظلام سبق جاره الأعمى إلى نخلته العزيزة، وقطع رأسها بنفسه، فأصبحت جذعاً بلا رأس، ثم ذهب إلى بيته ونام ملء جفنيه..

وفي صباح اليوم التالي (خمنوا ماذا حصل) تسلق الأعمى النخلة بطريقة لف الحبل المعروفة، وأخذ يصعد ويصعد حتى خرج الحبل من أعلى الجذع (حيث لا سعف في الأعلى يوقفه) فسقط على قفاه ميتاً فعرفه كل الجيران!!

وعجبت أكثر ما عجبت من طول صبره، وكتمان سره، وحسن استقباله لأبي سعد طوال هذه الفترة.

قصص حقيقية

- **القصة الأولى**

حدث هذا في أحد البيوت؛ حيث كان هناك امرأة مع ابنتها هند في البيت، ومعهما الخادمة، ففي النهار أوقعت الخادمة صحناً مزخرفاً غالي الثمن فكسرته، فصفعتها صاحبة البيت صفعة قوية، ذهبت على إثرها إلى غرفتها تبكي، ومر على ذلك الحدث سنتان، وقد نسيت الأم الحادثة، ولكن الخادمة لم تنسَ، وكانت نار الانتقام تشتعل داخلها، وكانت الأم تذهب كل صباح للمدرسة، وتأتي وقت الظهيرة، وتبقى ابنتها هند مع الخادمة، وبعد أيام قليلة أحست الأم أن ابنتها في الليل تنام وهي تتألم، فقررت الأم أن تتغيب عن المدرسة وتراقب الخادمة مع هند. سمعت هنداً تقول: لا أريد اليوم، هذا مؤلم، فلما دخلت الأم عليهما فجأة فوجئت بما رأته؛ رأت الخادمة تضع لهند الديدان في أنفها، فأسرعت وأخذت ابنتها إلى الطبيب. ماذا حدث بعد ذلك؟ لقد ماتت هند.

فانظروا.. صفعة واحدة نتيجتها حياة طفلة بريئة.

- **القصة الثانية**

كان هناك شاب وسيم يعمل في بيع المراوح، وكان يتنقل بين البيوت، ويريهم المراوح التي عنده، وفي يوم من الأيام ذهب إلى بيت امرأة تعيش وحدها، فلما رأته شاباً وسيماً اشترت منه مروحة، ثم أخذت واحدة أخرى، ثم قالت له: تعال ادخل إلى الداخل لكي أختار بنفسي. فدخل، وأقفلت الباب، وقالت له: أخيرِّك بين أمرين، إما أن تفعل بي الفاحشة،

أو أصرخ حتى يسمعني الجيران وأقول لهم إنك أتيت لتفعل بي الفاحشة. فاحتار الشاب في أمره، وحاول أن يذكرها بالله وبعذاب الآخرة، ولكن بلا فائدة، فدله الله إلى طريقة، فقال لها: أنا موافق، ولكن دليني على الحمام لكي أتنظف وأغسل جسمي، ففرحت، ودلته على الحمام، فدخل وأقفل على نفسه الباب، وذهب إلى مكان الغائط ووضع منه على وجهه وجسمه، وقال لها: هل أنت جاهزة؟ وكانت قد تزينت وتجهزت، فقالت له: نعم، فلما خرج لها ورأته بهذه الحالة صرخت وقالت: اخرج من هنا بسرعة، فخرج وذهب على الفور إلى بيته، وتنظف وسكب زجاجة من المسك على نفسه، وكان إذا مر في السوق تنتشر رائحة المسك فيه، ويقول الناس: هذا المكان مر منه فلان، وظلت رائحة المسك فيه حتى توفي، فقد أكرمه الله تعالى لأنه امتنع عن الفاحشة.

- **القصة الثالثة**

هذه قصة يحكيها ضابط عراقي يقول: كان هناك رجل يعمل جزاراً، يأخذ الماشية ويذبحها، وهو على هذه الحال كل يوم، وفي يوم من الأيام، رأى امرأة في الشارع مطعونة بسكين، فنزل من سيارته ليساعدها، وأخرج السكين منها، ثم أتى الناس ورأوه، فاتهموه أنه هو الذي قتلها. وجاءت الشرطة لتحقق معه، فأخذ يحلف لهم بالله أنه ليس الذي قتلها، لكنهم لم يصدقوه، فأخذوه ووضعوه في السجن، وأخذوا يحققون معه شهرين، ولما حان وقت الإعدام قال لهم: أريد أن تسمعوا مني هذا الكلام قبل أن تعدموني، لقد كنت أعمل في القوارب قبل أن أصبح جزاراً، أذهب بالناس في نهر الفرات من الضفة إلى الضفة الثانية، وفي أحد الأيام عندما كنت

أوصل الناس، ركبت امرأة جميلة قد أعجبتني، فذهبت لبيتها لأخطبها، لكنها رفضتني، وبعد ذلك بسنة ركبت معي تلك المرأة ومعها طفل صغير وكان ولدها، فحاولت أن أمكن نفسي منها لكنها صدتني، وحاولت مراراً وتكراراً، ولكنها كانت تصدني في كل مرة، فهددتها بطفلها: إذا لم تمكنيني من نفسكِ فسأرميه في النهر، ووضعت رأسه في النهر وهو يصيح بأعلى صوته، لكنها ازدادت تمسكاً، وظللت واضعاً رأسه في الماء حتى انقطع صوته فرميت به في النهر وقتلت أمه، ثم بعت القارب، وعملت جزاراً، وها أنا ألقى جزائي. أما القاتل الحقيقي فابحثوا عنه.

- **القصة الرابعة**

ذهبت مدرسة للبنات في رحلة بالحافلة إلى مواقع أثرية، فنزلوا، وأخذت كل واحدة منهن ترسم أو تكتب وتصور، وذهبت إحدى الفتيات في مكان بعيد عن الآخرين، فجاء وقت الرحيل، وركبت البنات الحافلة، فلما سمعت تلك البنت صوت الحافلة، ألقت كل ما بيدها وراحت تركض خلفها وتصرخ، ولكنهم لم ينتبهوا لها، فابتعدت الحافلة، ثم أخذت تسير وهي خائفة، ولما حل الليل وسمعت صوت الذئاب ازدادت خوفاً، ثم رأت كوخاً صغيراً، ففرحت وذهبت إليه، وكان يسكنه شاب، فحكت له قصتها، ثم قال لها: حسناً نامي اليوم عندي وفي الصباح أذهب بك إلى المكان الذي جئت منه لتأخذك الحافلة. نامي أنتِ على السرير، وأنا سأنام على الأرض. وكانت خائفة جداً، فقد رأته يقرأ كتاباً، ثم يذهب إلى الشمعة ويطفئها بأصبعه، ثم يعود، حتى احترقت أصابعه الخمسة، وظنت أنه من الجن.

وفي الصباح ذهب بها، وأخذتها الحافلة، فلما عادت إلى البيت حكت لأبيها كل القصة، ومن فضول الأب ذهب إلى الشاب يستفسر منه عن سبب فعلته تلك.

فلما وصل عنده رأى أصابعه الخمسة ملفوفة بقطع قماش، فسأله الأب: ماذا حصل لأصابعك؟ فقال الشاب: بالأمس حضرت إلي فتاة تائهة، ونامت عندي، وكان الشيطان كل مرة يأتيني، فأقرأ كتاباً لعل الشيطان يذهب عني، لكنه لم يذهب، فأحرق أصبعي لأتذكر عذاب جهنم، ثم أعود للنوم، فيأتيني الشيطان مرة أخرى، وفعلت ذلك حتى احترقت أصابعي الخمسة، فقال له الأب: تعال معي إلى البيت، فلما وصلا إلى البيت أحضر ابنته وقال: هل تعرف هذه الفتاة؟ الشاب: نعم، هذه التي نامت عندي بالأمس، فقال الأب: هي زوجة لك.

فانظروا كيف أبدل الله هذا الشاب بالحرام الحلال.

- **القصة الخامسة**

ذهب أحد الشبان إلى السوق لعل إحدى البنات تأخذ رقمه، وفعلاً بعد وقت طويل أخذت إحدى الفتيات رقمه، واتصلت به، ثم أخذ الشاب يغرقها بالكلمات العذبة الجميلة، بعد ذلك ذهب إلى الكلية ليراها، فذهب معها، ثم طلب منها أن تأتي معه إلى شقته، لكنها رفضت وقالت: الحافلة ستذهب عما قريب، فقال لها: إذا جاء موعد الحافلة فسآتي بك، فذهبت معه إلى الشقة، وهناك فعل بها الفاحشة، ثم قال لها: سأخرج لأحضر المرطبات، فخرج وأقفل الباب، ولكنه في الطريق صدم أحد عمال البناء، فأخذته الشرطة للتحقيق معه، والفتاة وحدها في

الشقة المقفلة، ثم رمي بالشاب في السجن، فاتصل بصديق له عنده مفتاح للشقة، وأخبره بالقصة، وقال له: أريدك أن تذهب إلى الفتاة وتوصلها إلى الكلية، فذهب هذا الصديق فرحاً لأنه وجد فريسة له، وأخذ معه السكين، فذهب إليها، وفتح الباب، وفوجئ لما رآه، ماذا رأى؟ وجد أن الفتاة هي أخته، وأخذت الفتاة ترجوه وتتوسل إليه، وأنها لن تكررها، فلم يستطع تحمل ذلك، فما كان منه إلا أن غرز السكين في قلبها، وانتظر إلى أن أتى ذلك الشاب من السجن ورآها مقتولة، فقال له الصديق: أهكذا تفعل أيها الخائن؟ فقتله هو الآخر. ثم ألقي القبض عليه وأعدم.

فانظروا.. رقم هاتف ألقي في السوق نتيجته قتل ثلاثة أشخاص، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الهدية تغسل القلوب

حدثني أحد جيراني بقصة حصلت معه، يقول:

كان أحد أقاربي يضايقني بكلامه، ويجرحني ببعض تصرفاته لي أمام الآخرين، مع أن عمري تجاوز الأربعين، والرجل الذي لم أسلم من لسانه عمره تجاوز الستين. والله لم أنسه من الدعاء في سجودي، ولم أنسه من الدعاء بين الأذان والإقامة، فحينما أدعو لنفسي أدعو له بالمثل.

أذكر مرة كنا في مجلس، وكنت قد تطيبت بعطر العود، فقال أحد الأقارب: ما شاء الله رائحة العود جميلة، وكان هو قريباً منا، فقال: لعله سرقها.

فأخبرت أخاه فقلت له: ماذا يريد أخوك مني؟ والله لم أذكر أني أخطأت في حقه، أو صار بيني وبينه خلاف سابق، فقال: أخي، هداه الله، يقول: لا أرتاح له.

فأخبرت أحد المقربين إلي بقصتي معه.. فقال: أوصيك بأن تذهب إلى أحد الأسواق وتشتري له هدية غالية الثمن، وزُره في منزله، وأخبره أنك تحبه في الله، وأن هذه الهدية دليل على محبتك له، ولا تطل الزيارة، وأنسب وقت بين المغرب والعشاء.

فتوكلت على الله، وسمعت نصيحة صديقي، وانطلقت إلى أحد الأسواق المعروفة بالعطور والعود، واشتريت له هدية غالية الثمن، والله إن قيمتها (1200) ريال.

ذهبت إلى منزله اليوم الثاني، وطرقت الباب، ففتح لي وعبس بوجهي، وقال: نعم. ما رأيك تريد أن تدخل؟.

فقلت له: ما أتيت إلى منزلك أيها الغالي إلا لكي أزورك وأسلم عليك.

فدخلت منزله، وتبادلت الكلام الطيب معه، ثم استأذنته بالخروج نظراً لضيق الوقت واقتراب وقت صلاة العشاء، فقلت له: تعال معي، لدي غرض لك في السيارة. فذهب معي، ثم فتحت باب سيارتي وأخرجت الهدية، فقلت له: خذ هذه هدية مني لك، ووالله إني أحبك في الله، وهذا أقل شيء أقدمه لك.

يقول: أتدري ماذا حصل له؟ والله بكى هذا الرجل واحتضنني وقال: أرجوك سامحني، والله إني مقصر معك، وأعترف أني أخطأت في حقك كثيراً.

الفوائد من القصة:

- طهارة قلب هذا الرجل، واحتماله الأذى من قريبه.
- الدعاء له بكل خير، وحرصه على عدم حمل غل بقلبه لأحد.
- شراء الهدية له، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**تهادوا تحابوا**»، فغيرت حال الرجل.
- أن المعاملة الطيبة سبب في إحراج المسيء، مهما كان عمره أو منصبه.
- الصبر على الأذى، واحتساب الأجر، وعدم مقابلة المسيء بمثل إساءته.

الطموح ينسينا الجروح

لقاء أجرته الدكتورة شيماء الدويري:

لطالما سمعنا عن قصص النجاح التي كانت بدايتها بسيطة لأشخاص نجحوا في تخطي العقابات، وتجاوزوا العديد من الأزمات والمحن، وتمكنوا بمثابرتهم وعزمهم من صياغة قصص نجاحهم، ومن بين هذه القصص قصة طفل استطاع بالجهد والعمل، وبالفكر والإبداع أن ينقش اسمه اللامع على لائحة النجاح والتميز.

هو أحد أشهر و أبرع مصممي المجوهرات بتونس، وسننتقي من تجربة هذا الطفل الكثير من النصائح والدروس المستفادة.

دعوني أبحر معكم في قصة غريبة نوعاً ما، لكنها شائقة جداً، قصة طموح، قصة نجاح، قصة واقعية سجلتها لكم، وحينما أخبرته أنني أجري دراسة لأؤكد أن النجاح الكبير ينطلق من خلال فكرةٍ تحلق في الخيال، تفاعل معي.

لقد أثرت فيَّ هذه القصة كثيراً، وجعلتني أصحح شيئاً من مسار حياتي، فأتمنى لكم الاستفادة والنفع، ولنبحر في تفاصيل القصة التي تتحدث عن تجربة هي أكثر تألقاً وطموحاً.

ولد الطفل في مدينة المرسي بتونس، وكان الأصغر بين إخوته، واتصف منذ صغره بالجدية؛ إذ كان يمضي أوقات فراغه في صناعة أي شيء يخطر بباله، لم يكن ذا ميل للعب مع رفاقه، ولم يكن له رفاق عندما كان طفلاً في المرحلة الابتدائية، ولكنه لم يتمكن من التواؤم مع أستاذه والمدرسة عموماً. وكثرت مخالفاته لأوامر أستاذه، وإهمال دروسه،

إذ كان المدرس يعاقبه بالضرب الشديد، ومع نهاية الفصل الدراسي لم يحصل علي أي نتيجة. كان متأخراً في دراسته حتى ترك المدرسة ولم يتخطَّ عمره 14 عاماً. لم يتابع دراسته بقدر متابعته لطريق الابتكارات والمواهب المتعددة.

التصقت شهرته بشهرة موهبته وقدرته على الإبداع في مجال تصميم المجوهرات الذي يمكن وصف بدايته البسيطة بالأسطورة نوعاً ما. وقصته ابتدأت عند خروجه من المدرسة بالاتجاه نحو عالم غامض بعزيمة قوية. وأشرق الصباح، وأشرق معه الطموح في نفسه، فانطلق يبحث عن محلات تفتح له ذراعيها حتى يعمل فيها أي شيء، وأخيراً، بعد طول بحث، تهلل وجهه، ووجد فرصة عمل كعامل بسيط في أحد محلات تصميم المجوهرات، عمل مناسب على الأقل في ذلك السن، تضمن أن يشاهد المصممين وهم منشغلون في عملهم، وهنا بالتحديد ولدت في نفسه فكرة أن يكون مصمماً موهوباً وينجح.

كان يعمل بعزيمة، كان يعمل بنشاط، ويقبل على تنظيف المحل، والمساعدة، وقضاء الحاجات، وكأنه صاحب المحل.. كان يعمل كل يوم من الصباح حتى المساء بجهد وإقبال على العمل، مع أنه كان يتلقى الضرب والإهانات، وكان يحاول أن يتذكر ذنباً جناه، فما يجد.

وتمر الأيام قاسية، ففكر، ورسخت في عقيدته فكرة أنه إذا أراد أن يتعلم فلا بد له من التضحية، عملاً بقول الشاعر القائل:

صابر الصبر الصبور حتى قال الصبر للصبور دعني

لذا كان يعلم أن حلمه يتطلب صبراً عظيماً وعدم اليأس، كان ينظر إلى التصاميم أمامه ويراها أمراً مذهلاً وغامضاً، ووجد نفسه عاجزاً عن معرفة

ذلك اللغز المحير، وفي عمر 19 قرر بشخصيته المستقلة السفر إلى فرنسا، كان يعشق السفر، ورجع يحمل الفكرة في ذهنه، وعاد إلى العمل، عند أحد المصممين كمساعد له؛ بحيث يتسنى له تطبيق فكرته، وأثبت أول نجاح له في تصميم خاتم، إلا أنه لم يكن يرقى إلى المستوى المرجو، لكنه قرر اعتباره تجربة أولية، وبداية ناجحة لعملية إنتاج خاتم، وفعلاً واصل العمل.

مضت السنوات مسرعة، وكبر الطفل، وكبر حلمه. كانت أول انطلاقة له في هذا العالم هي تطبيق فكرته؛ وهي إحياء المجوهرات التقليدية التونسية التي فقدت في ذلك الوقت، ليحلق في خياله ويمضي نحو عزيمة تملكه.

بدأ يرسم كل فكرة تصميم تخطر بباله، وينظر إلى أفكاره فلا يرى أنها رسم على ورق؛ إنه يرى فيها حلمه وهدفه.

لم تخلُ حياته المهنية من الاتهامات والانتقادات من المصممين والتجار، فقد أوحوا إليه بأن نجاحه مستحيل، وكان يقاوم تلك الفكرة، ويرفضها نهائياً، ويعرف أن نجاحه الحقيقي يكمن في إيمانه بقدراته على النجاح.

أوقف وتحدى كل تفكير سلبي، وكل تأكيد لبؤسه، أنكر الملموس، وأكد النجاح، استطاع أن يصنع ذاته عند أول فكرة حلقت في خياله إلى هدف يراه بعينيه يخطو إليه يوماً بعد يوم، واستمر في التدريب على التصميم حتى أتقن مهنته، ومع ذلك قهر بكل قوة وعزيمة وإصرار على النجاح مشاعرَ اليأس، والظروف الصعبة التي عاش بها.

لنقف قليلاً قبل أن نتابع سرد القصة، فثمة سؤال لكل قارئ ومن أحس بهذه القصة وكلماتها التي تنطق عن تجربة ومعاناة، وتتحدث عن طموح وعزيمة ورغبة لذلك كانت صادقة:

من أين بدأ هذا الطفل رحلته مع صناعة ذاته والنجاح في حياته؟

بدأ بفكرة خيالية دارت في عقله الصغير، والأغرب من هذا كله أن نجاحه الكبير لم يكن إلا من ميزة أحس بها في نفسه؛ تلك الميزة كانت كفيلة بأن تجعله يقدم على المغامرة بروح مرحة وأن تعطيه نتيجة وعقيدة بأن بعد كل كبوة هناك أمل جديد في مستقبل أفضل.

لو نظر هذا الطفل إلى نفسه على أنه فاشل وإمكانياته ضعيفة، واقتنع بكلام من هم حوله، لتحطمت حياته، ولكنه نظر إلى نفسه من الزاوية المشرقة، إنه إنسان لديه ميزات خاصة، يمكنه بقدرة تفكيره المبدع أن يكون الأفضل، ويتحدى كل مصمم وينافس أمهر المصممين.

وبدأ هذا الشاب بالإنتاج، وتحويل أفكاره إلى واقع ملموس، وحقق أول حلمه، وبداية شهرته من تصميم طقم يحمل شعاره الذي اختار له اسم (الخيالي)، وأعجب تجار السوق بهذه الموهبة الواعدة، ومنذ ذلك الوقت أثبت تفوقه، وبدأ تكاثر الطلبات على هذا التصميم الذي أثار ضجة كبيرة في السوق، وحقق النجاح المرجو، ليعد أول تصميم حقيقي له.

عمل هذا الشاب على إنتاج هذا التصميم، وأحسن صاحب المحل معاملته، وأكرمه على هذه الفكرة الناجحة والتصميم الرائع، وظل على هذا الحال عشرين سنة من العمل المتواصل والإنتاج.

اسمحوا لي أن نقف هنا قليلاً لأطلعكم على سر ميزة رائعة اكتشفتها فيكم، أريدكم أن تكتشفوها أنتم أيضاً في أنفسكم، ستسألون باستغرابٍ وتعجب: كيف عرفت أننا نمتلك ميزة؟

ستقولون أيضاً بعد هذه التساؤلات كلاماً ليس صحيحاً: اذهبي واعملي على إلقائها في مكان آخر؟

أجيبكم: فما دمتم تسألون عن ميزاتكم، وتريدون معرفتها، وما دمتم متابعين معي القصة، فإن ذلك يدل على حياة قلوبكم، وخير في نفوسكم، وشعور الأمل بعد أن كان بريقه في يوم من الأيام قد غاب. أنتم تمتلكون إرادة.. صدقوني.. إنكم تمتلكون إرادة غير طبيعية، لقد عرفتم الآن ميزاتكم، والسؤال الأهم هو: ماذا نستطيع أن نفعل بميزاتنا؟

نستطيع عمل الكثير، ونكون أكثر من عاديين في خدماتنا للناس وللمجتمع.

واستمر الشاب بالعمل حتى خطر بباله أن يشارك في الاختبار السنوي في مركز الصناعات التقليدية، واجتهد حتى حصل على شهادة امتياز في هذه المهنة، ولم يكتف فقط بهذه الشهادة، إنما استطاع في تلك السنة أن يكون صاحب محل صغير، وركز على هدف واحد؛ وهو تحقيق النجاح المنشود لتصاميمه.

وبدأت أحواله تستقر، وبدأ في التطوير والإنتاج والإبداع في تصميمه الذي يحمل اسم (الخيالي)، وتحويل أفكاره إلى تصاميم مدهشة، وبدأ يحتل مكاناً لا بأس به في السوق، ونمت مبيعات تصاميمه بشكل ملحوظ منذ العام الأول، إنما لم يكتفِ بهذا؛ فاستطاع أن يملك محلاً أكبر بكثير، وبأحدث التجهيزات المستوردة، مماسمح له بزيادة الإنتاج والتطوير.

وخلق نجاح الشاب الكثير من المنافسين، لكنهم لم يتمكنوا من النجاح في مواجهة المنافسة معه في إنتاج وإحياء جميع المجوهرات التقليدية.

ثم إنه تعرض لأزمة أدت إلى تراجع مبيعاته في ظل الكساد الكبير، وبدأ في تلك الفترة تقليل الإنتاج، ولكن بعد انقضاء الأزمة استعاد

ريادته للسوق من جديد، حيث صنعت منه هذه التجربة مصمماً موهوباً، ومنافساً قوياً، ومبدعاً متألقاً، يحمل لقب المبدع من خلال تصاميم متألقة.

ومن أشهر المهرجانات التي شارك بها، وتمت دعوته من ضمن رجال الأعمال، مهرجان دبي الدولي، لكنه لم يشعر حتى الآن أنه قد حقق جميع طموحه، وأجمل معزوفة سمعتها في حياتي قوله: «الطموح انطلق من خيال يا بنتي، وبدأ بفكرة صغيرة، وواصل رحلته بهدف، ثم انتهى بنجاح».

ومن هذا القول وقفت لأقدم له تحية إكبار وإجلال واحترام وتقدير، وفعلاً قد تأكد لي، واستنتجت من كلامه عن حياته أنه لم يتحقق شيء عظيم إلا من خلال هؤلاء الذين تجرؤوا على الاعتقاد بأن هناك شيئاً ما بداخلهم يمكنه التفوق على الظروف.

وهكذا انتهت قصة هذا الشاب، فكل من زرع حصد، ومن مشى وصل، ومن طلب وجد، والطلب لا يحصل إلا بالمجاهدة. وآخر كلمة أقولها:

كل من في الوجود يطلب صيدا   غير أن الشباك مختلفات

أغرب قصة انتحار في التاريخ

قد لا يصدق البعض هذه القصة لكثرة ما فيها من مصادفات غريبة، كما أن أحداثها تصلح لإثارة أكثر العقول إيماناً بأنها رأت وسمعت ما يكفي وأن ليس هناك ما يثير، غير قصص الخيال العلمي في السينما والتلفاز. وقد كانت أحداثها الغريبة موضوع خطبة ألقاها رئيس (جمعية علماء التشريح في جرائم القتل) بأمريكا، وأثارت دهشة مستمعيه في ذلك الحفل، ويفترض أنهم رأوا الكثير، ليس بسبب مصادفاتها العجيبة فقط، بل ولتعقيداتها القانونية، فهي قصة جريمة قتل غير مسبوقة، ولا يمكن أن تتكرر بسهولة مرة أخرى.

في 23 آذار (مارس) 1994م، بيَّن تقرير تشريح جثة رونالد أوبوس أنه توفي من طلق ناري في الرأس، بعد أن قفز من سطح بناية مكونة من عشرة طوابق، في محاولة للانتحار، تاركاً خلفه رسالة يعرب فيها عن يأسه من حياته، وفي أثناء سقوطه أصابته رصاصة انطلقت من إحدى نوافذ البناية التي قفز منها، ولم يعلم المنتحر أو من أطلق النار عليه وجود شبكة أمان بمستوى الطابق الثامن، وضعها عمال الصيانة، وكان من الممكن أن تفشل خطته في الانتحار. من الفحص تبين أن الطلقة التي أصابته انطلقت من الطابق التاسع.

وبالكشف على الشقة تبيَّن أن زوجين من كبار السن يقطنانها منذ سنوات، وقد اشتهرا بين الجيران بكثرة الشجار، ووقت وقوع الحادث كان الزوج يهدد زوجته بإطلاق الرصاص عليها إن لم تصمت، وكان

في حال هيجان شديد، بحيث ضغط من دون وعي على الزناد فانطلقت الرصاصة من المسدس، ولكنها لم تصب الزوجة، بل خرجت من النافذة لحظة مرور جسد رونالد أمامها، فأصابت في رأسه مقتلاً!

والقانون ينص على أن (س) مدان بجريمة قتل، إن هو قتل (ج) بدلاً من (ك) من الناس، ومن ثم فالرجل العجوز هو القاتل، حيث إن شبكة الأمان كان من الممكن أن تنقذ حياة رونالد من محاولته الانتحار!! وعندما ووجه الرجل بتهمة القتل غير العمد أصر هو وزوجته على أنهما دائما الشجار، وقال الزوج إنه اعتاد على تهديد زوجته بالقتل، وكان يعتقد دائماً أن المسدس خال من أي قذائف، وأنه كان في ذلك اليوم غاضباً إلى حد بعيد من زوجته، فضغط على الزناد، وحدث ما حدث.

بينت التحقيقات تالياً أن أحد أقرباء الزوجين سبق أن شاهد ابن الجاني، أو القاتل، يقوم قبل أسابيع قليلة بحشو المسدس بالرصاص.

وتبين أيضاً أن زوجة الجاني سبق أن قامت بقطع المساعدة المالية عن ابنهما، وأن هذا الأخير قام بالتآمر على والديه عن طريق حشو المسدس بالرصاص، وهو عالم بما دأب عليه أبوه من عادة تهديد أمه بالقتل عن طريق ذلك المسدس الفارغ، فإن نفذ تهديده مرة واحدة فسيتخلص من أمه وأبيه بضربة، أو رصاصة واحدة. وإذ إن نية الابن كانت القتل، فيصبح من ثم متورطاً في الجريمة حتى لو لم يكن هو الذي ضغط على الزناد، أو استخدم أداة القتل!

وهنا، تحولت تهمة القتل من الأب إلى الابن لقتله رونالد أوبوس.

ولكن استمرار البحث أظهر مفاجأة أخرى، فالابن المتهم لم يكن غير المنتحر، أو القتيل رونالد أوبوس، فهو الذي وضع الرصاصة في المسدس

ليقوم والده بقتل والدته، وعندما تأخر والده في تنفيذ وعيده، وبسبب تدهور أوضاعه المادية، قرر الانتحار من سطح البناية لتصادفه الرصاصة التي أطلقها والده من المسدس الذي سبق أن لقمه بالرصاصة القاتلة، ومن ثم كان هو القاتل وهو القتيل في الوقت نفسه، مع أنه لم يكن من أطلق الرصاص على نفسه، واعتبرت القضية انتحاراً، وعلى هذا الأساس أغلق ملفها.

الوعاء الذي أدهش الملك

في أحد الأيام خرج إمبراطور من قصره يتمشى كعادته في الصباح، عندما قابل شحاذاً.

أثار منظر الشحاذ الإمبراطور فسأله: ما الذي ترغب فيه؟

ضحك الشحاذ وقال للإمبراطور: ولكنك قد لا تستطيع أن تشبع رغبتي. أحس الملك بالإهانة فقال: بالطبع أنا أستطيع أن أشبع رغبتك.. أخبرني ما هي؟ عرفني بها؟ أعدك بأني سأحققها لك.

فقال الشحاذ: ألا تعفيني من هذا الطلب أيها الإمبراطور؟ أصر الملك وقال: سأجيب أي طلب تسأله، إنني إمبراطور قوي جداً، فما الذي يمكن أن ترغبه ولا أستطيع أنا أن أعطيه لك؟

فقال الشحاذ: حسناً، إنها رغبة بسيطة جداً.. أترى يا مولاي وعاء الشحاذة هذا؟ هل يمكنك أن تملأه بشيء ما؟

فقال الإمبراطور: بالطبع! واستدعى أحد معاونيه وقال له: املأ وعاء الشحاذة هذا بالنقود.

ذهب هذا المعاون وأحضر بعض النقود، ووضعها في وعاء الشحاذة، وإذ بها تختفي... فوضع نقوداً أكثر، ثم عاد ووضع نقوداً أكثر، ولكن في اللحظة التي كان يضع نقوداً في وعاء الشحاذ كانت تختفي فوراً، ويبقى وعاء الشحاذة دائماً فارغاً.

اجتمع كل من في القصر... وأخذت الإشاعة تنتشر خلال العاصمة، وهكذا تجمع جمع غفير، وأصبحت هيبة الإمبراطور محل تساؤل، ولكنه قال لمعاونيه: حتى لو فقدت كل المملكة، فأنا مستعد لذلك، ولكن لا

يمكن أن أهزم بواسطة هذا الشحاذ. عندها أخذ معاونو الملك يملؤون الوعاء باللآلئ والجواهر والأحجار الكريمة، وأخذت كل كنوز الملك تنفد. لقد بدا وعاء الشحاذة كما لو أنه بلا قرار.. كل شيء وضع فيه اختفى في لحظتها، وكأنه لم يكن.

وأخيراً حل المساء، والجماهير واقفة هناك في صمت مهيب. سقط الملك عند أقدام الشحاذ معترفاً بهزيمته، ثم قال له: فقط أخبرني بشيء واحد، أنت انتصرت، ولكن قبل أن تتركنا، فقط أشبع فضولي.. من أي شيء عمل وعاء الشحاذة هذا؟ هل هو مسحور؟

ضحك الشحاذ وقال: لا، إنه حقيقي وليس مسحوراً.. ليس هناك سر.. ولكنه ببساطة صُنع من الرغبة الإنسانية.

أرجو أن تكونوا فهمتم مرادي من هذه القصة. هذا الفهم يغير الحياة، فلو نظرت إلى رغبة ما، تُرى ما الطريقة التي تعمل بها؟

أولاً، يكون هناك الكثير من الاستثارة، رجفة حلوة عظيمة، إحساس بالمغامرة.. أنت تشعر أنك ستحقق ضربة كبرى.. هناك شيء وشيك الوقوع، وأنت على حافة حدوثه.

أنت أيها الإنسان، وبكل بساطة، تريد كل شيء.. تريد السيارة، ثم تحصل على السيارة، ثم تريد المنصب، فيكون لك المنصب، وتريد المنزل وتمتلك المنزل، وتريد الزوجة وتتزوج بامرأة جميلة، وفجأة يصبح الكل في نظرك من دون معنى.. مرة أخرى ترى ما الذي حدث؟

إن عقلك فقَدَ إحساسه بما حصلت عليه.. فالسيارة أصبحت قديمة.. والزوجة هناك من هي أجمل منها، والبيت هناك ما هو أفخم منه.. وكل يوم هناك جديد وهناك مثير.. ولكن لم تعد هناك استثارة بعد،

فالإثارة كانت في الحصول عليها فقط.. حتى لقد أصبحت ثملاً بالرغبة التي امتلكتك.. حتى إنك نسيت فراغك الداخلي، والآن الرغبة تحققت، وها هي السيارة في الطريق، والزوجة في البيت، والمال في حسابك في المصرف، وكل ما هو جديد تحت يديك ولكن الإثارة اختفت مرة ثانية.. أنت تريد ولا تعرف ماذا تريد!!

تريد أن تشاهد أفلام العالم كلها، وتريد أن تسمع قصص العالم كلها، وتريد (..............)، وتريد (.......)، وتريد (...........)، وتريد.. تريد حتى الممنوع والمحرم، تريده لأنك تريده.. فقط لأنك أردته.. ألم تشاهدوا من يدفع الملايين من أجل تحفة أثرية أو شراء منديل مغنية أو... لا تقولوا بأني لا أقدِّر هذه الأشياء، صدقوني إنها الرغبة التي لن تشبع.. هي مثل وعاء الشحاذ لا يمتلئ أبداً.

إذاً، ما الذي يحدث... ها أنت تشعر بالفراغ الداخلي مرة أخرى، وهو يكاد يأكلك ويبتلعك، تكاد تبكي.. وتكاد الهموم تقطعك أشلاء.. ومرة أخرى تجد أنه عليك أن تخلق رغبة أخرى كي تهرب من هذه الهوة المخيفة والسحيقة والمظلمة، والتي لا تكاد ترى فيها بصيصاً من ضوء، وهذه هي الحقيقة، كيف يتنقل الواحد من رغبة لأخرى، وكيف يبقى الواحد شحاذاً.. وحياتك تثبت ذلك المرة تلو الأخرى، كل رغبة باطلة لأنه عندما تحقق الهدف، ستحتاج إلى رغبة أخرى.

أعرف أنكم تقولون: ما الذي تريد أن تتوصل إليه؟ أريد أن أقول إن كل ما عدا الله باطلٍ، وصدق الشاعر حيث يقول:

أَلا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللهَ باطِلُ   وَكُـلُّ نَعيم لا مَحالَةَ زائِلُ

«يا رُبَّ شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً»، ولو كانَ لابن آدم واديان

يسيلان ذهباً وفضة لابتغى لهما ثالثاً.. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، وقديماً قالوا: «القناعة كنز لا يفنى».

وهذه كلمات قرأتها فأعجبتني، تتحدث حول هذا الموضوع:

في البداية ما كنت أصدق متى أنتهي من الثانوية وأدخل الجامعة، ثم كنت أتوق إلى الانتهاء من الجامعة وأشتغل، بعدها تطلعت نفسي إلى الزواج وإنجاب أطفال، وبعدها كانت لدي رغبة عارمة أن يكبر الأطفال وأرجع إلى الوظيفة، وبعدها انتظرت التقاعد من الوظيفة بفارغ الصبر، والآن... أنا أموت.. ولكني نسيت كيف أعيش.

لا تجعلوا هذا يحدث لكم؛ عش في حدود يومك ووضعك.. واستمتع بكل يوم في حياتك، ودائماً ابتغِ مرضاة الله في كل عمل وكل هدف.

الإسكافي مدرساً

كتب أسامة غريب في جريدة الوطن الكويتية القصة التالية:

كنت في زيارة إلى لندن ذات يوم عندما انكسر كعب حذائي، وانفصل عن بقية الحذاء، بينما كنت أسير بالشارع، فأخذني أحد أصدقائي إلى دكان صغير يعمل به إسكافي شديد الهمة والنشاط. تعرفت الشابَّ وكان اسمه «باتريك»، ووجدته مغرماً بمصر.

تمر السنوات، وتجعلني المصادفة ألتقي بالإسكافي العظيم مرة أخرى في مكان لم أتصور أبداً أن ألقاه به. كنت بصحبة صديق في إحدى المدارس الأجنبية بالقاهرة، حيث يدرس أبناؤه، عندما لمحنا بفناء المدرسة مدرساً يقف في ركن يدخن الغليون في لذة واستمتاع. شعرنا باستنكار شديد؛ أن يقوم أحد المدرسين بالتدخين داخل المدرسة وسط التلاميذ، فتوجهنا نحوه نئوي تعنيفه وتوبيخه على سلوكه المعيب. عندما اقتربنا منه اكتشفت لدهشتي الشديدة أن هذا الرجل هو نفسه باتريك اللندني، الذي أصلح حذائي ذات يوم.

دنوت منه، وسلمت عليه، فلم يتذكرني، لكنني حدثته عن شعوري بالامتنان نحوه عندما أتقن عمله وأصلح حذائي بمنتهى الاقتدار. تذكرني واحتضنني بسعادة، وضحكنا كثيراً وهو يحكي لي عن أمنيته التي تحققت بزيارة مصر، وأيضاً الاستقرار والعمل بها.

الجميل أنه لم يتنصل من ماضيه، ولم ينكر أنه باتريك الإسكافي، العامل بالدكان بشارع «موزلي»، لكنه أكد لي أن المسؤولين بالمدرسة هم الذين التقطوه في أثناء قدومه للسياحة، وألحوا عليه حتى أقنعوه

بأن يعمل مدرساً بمصر. فلما استنكر الأمر، وشرح لهم أنه لم يحصل على قسط كاف من التعليم ببلده، كما أنه لم يتلقَّ تدريباً على التدريس.

أقنعوه بأن التدريس بالبلاد العربية لا يحتاج إلى شيء من هذا!! وأنه يكفيه فقط أن لغته الأم هي اللغة الإنجليزية حتى لو كان يعمل بتصليح الأحذية. وزاد باتريك في شرحه فقال إنه بدأ العملية وهو متوجس وموقن من الفشل، غير أن الإدارة شجعته، بالإضافة إلى أن أولياء الأمور أنفسهم قد أبدوا رضا وسعادة بأدائه، وصاروا يتوددون إليه حتى صدق هو نفسه أنه مدرس جيد! ولم ينس باتريك أن يؤكد أن مثل هذه المدارس في مصر ودول الخليج تمتلئ بزملائه الإسكافيين، وغيرهم من سائقي سيارات الأجرة، والبوابين، الذين اكتشفوا أن مدارس علية القوم العربي تطلب مدرسين من بينهم، فتنادوا وجلب كل منهم أصدقاءه وأقاربه وانتشروا بمدارسنا!

كذلك أخبرني باتريك بأنه أحضر زوجته التي عملت معه بعض الوقت بالمدرسة، غير أنها راسلت مدارس أخرى ببعض البلاد العربية، وحصلت على عقد عمل بإحدى المدارس الدولية في دولة خليجية براتب أسطوري. لم يفتني أن أعلق على تدخينه (البايب) وسط الأطفال، فأجاب في خجل بأنه كان في البداية يمتنع عن التدخين في المدرسة حتى وجد الناظر يدخن، وكذا بقية المدرسين، فلم ير داعياً لأن يكون الملتزم الوحيد.

لم ينس باتريك أن يثني على بلادنا الجميلة الطيبة السخية، التي تنظر إلى كل أوربي أشقر أنه خبير دولي لا تجوز مساءلته أو تقييمه... لكن يجوز فقط التودد إليه، وطلب رضاه، ومحاولة الحصول على شهادة منه بأن هذا

الطالب جيد ويسير على الطريق الصحيح! ويا حبذا لو كتب شهادته هذه في وثيقة؛ حتى يمكن نشرها بالصحف وتعليقها على الجدران!

سألته في ذهول: شهادة جدارة يطلبونها من إسكافي بعد أن عملوا منه مدرساً لأبنائهم؟!

أجاب: هذه هي بلادكم يا صديقي.

ما أروعها إجابة!

في إحدى مناجم الفحم، وقف صبي صغير، ابن لعامل ينتظر بصبر صعود المصعد وخروج وردية المساء.

فرآه أحد المُشرفين وسأله:

- ماذا تفعل هنا؟

- إني أنتظر أبي.

- لن يمكنك أن تتعرف عليه في وسط الرجال الذين سيخرجون ويرتدون جميعاً خوذات متشابهة ولهم الوجه الأسود نفسه المُغطَّى بغبار الفحم! من الأفضل أن تعود إلى بيتك.

وبمنتهى البراءة، أجابه الصغير:

- ولكن أبي يعرفني!

و ما أروعها إجابة!

لقد كان يعلم أنه غير قادر على تعرف أبيه، ولكنه كان يعلم أيضاً ويثق أنه من المحال ألا يراه والده!

هل لك مثل ثقة هذا الصغير؟

في أقسى لحظات حياتك؛ هل تذكر أن إلهنا «يرى كل شيء ويسمع كل شيء ويعلم كل شيء؟».

لتكن هي إجابتك دائماً، ولتكن دائماً واثقاً فيه.

أريد أن أكون تلفازاً

طلبت المعلمة من طلبتها في المدرسة الابتدائية أن يكتبوا موضوعاً يطلبون فيه من الله أن يعطيهم ما يريدون. وبعد العودة إلى منزلها، جلست تقرأ ما كتبوا، فأثار عاطفتها موضوع فدمعت عيناها. وصادف ذلك دخول زوجها البيت، فسألها: ما يبكيكِ يا حبيبتي؟ فقالت: موضوع التعبير الذي كتبه أحد الطلبة. اقرأه بنفسك! فأخذ يقرأ: إلهي، أسألك هذا المساء طلباً خاصاً جداً! اجعلني تلفازاً! فأنا أريد أن أحل محله! أريد أن أعيش مثله! لأحتل مكاناً خاصاً في المنزل! فتتحلَّق أسرتي حولي! ويأخذوا كلامي مأخذ الجد! وأصبح مركز اهتمامهم، فيسمعوني دون مقاطعة أو توجيه أسئلة.

أريد أن أتلقى العناية التي يتلقاها التلفاز حتى عندما لا يعمل، أريد أن أكون بصحبة أبي عندما يصل إلى البيت من العمل، حتى وهو تَعِب، وأريد من أمي أن ترغب فيَّ حتى وهي منزعجة أو حزينة، وأريد من إخوتي وأخواتي أن يتخاصموا ليختار كل منهم صحبتي. أريد أن أشعر بأن أسرتي تترك كل شيء جانباً كل حين، لتقضي بعض الوقت معي! وأخيراً، وليس آخراً، أريد منك يا إلهي أن تجعلني أستطيع إسعادهم، وأن أرفِّه عنهم جميعاً. يا ربِّ إني لا أطلب منك الكثير، أريد فقط أن أعيش مثل أي تلفاز.

انتهى الزوج من القراءة، فقال: يا إلهي، إنه فعلاً طفل مسكين، ما أسوأ أبويه، فبكت المعلمة مرة أخرى وقالت: إنه الموضوع الذي كتبه ولدنا.

وقد تذكرت ذاك البروفسور الإنجليزي الذي لم يدخل التلفاز بيته، ولما سألناه عن السبب قال: لأن التلفاز يفرض رأيه علينا، ولا يسمح لنا بأن نناقشه، وينغص حياتنا الاجتماعية.

النظارة السوداء

زرت ذات يوم مدينة كبيرة دخلتها مع إشراقة شمس ذاك النهار، فوجدت جمال الطبيعة وحسن التنظيم وروعة المكان، ولكنني توقفت عند ظاهرة أشغلتني، وجعلتني في حيرة طوال ذلك اليوم، وهي أن الناس هنا يلبسون جميعاً، وبلا استثناء، نظارة سوداء طوال أوقاتهم، وفي كل الأماكن التي يرتادونها ويزورونها، حتى أطفالهم يقومون بالتصرف ذاته بكل سلاسة!!

كان أمراً عجيباً وغريباً بلا منازع فما السر في ذلك يا ترى؟؟

قربت منهم أكثر، وحاولت أن أفهم وأعلم فلسفة هؤلاء في الحياة، وفعلاً سألتهم عن حالهم، وأبديت لهم انطباعي الجميل عن مدينتهم، واستمتاعي بزيارتها، فقالوا: عن أي شيء تتحدث، وإلى أي جمال أو حسن ترمي!!

بهرت كثيراً من عدم قدرتهم على رؤية ما حولهم مما يبهج النفس، ويسعد الروح، ويغذي العقل، وزادت حيرتي، وزاد ولعي في معرفة السر الكامن وراء كل هذه السلوكيات ونتاجه، ولكنني، وفي ضوء هذا الجهد والعزم الأكيد على تفكيك السر، ومعرفة الأسباب والمسببات لهذا الأمر الجلل، انقطع اتصالي بذلك العالم حيث استيقظت من النوم على وقع المنبه!!

وبحكم يقظتي ونهاية هذ الحلم العابر والذي حملني إلى عالم مدهش وغريب رضخت للأمر الواقع..

ولكن هذا الأمر ساقني إلى عالم اليقظة لا عالم الأحلام، فكم من الناس، بل كم من المجتمعات هم ممن يلبسون النظارة السوداء، ولا

يرون الجمال الكامن حولهم!كم أخذ منهم التشاؤم والسوداوية من جمالية الحياة، وهناء عيشها، وصفاء أيامها! وكم أخذت منهم تلك النظرة المعتمة من اللحظات السعيدة والأيام الخالدة والذكريات الرائعة! كيف جعلتهم الضغوط والتحديات غير قادرين على التقاط الأنفاس والتأمل في واقع الحال ومستقبل المآل؟ فقدت حياتهم البساطة فحل مكانها التعقيد، وذهبت لذة اللحظة حينما سيطر التفكير المتوتر والمهوس في المستقبل والتوقعات السلبية حوله.

كم صرف عنهم هذا التشاؤم والسلبية من الفرص السانحة، وأبعدهم عن عالم المشاريع والمبادرات والأفكار الإبداعية.كم ساقتهم هذه النظرة إلى الاستسلام إلى الأمر الواقع وعدم المحاولة لتغيير الواقع وتحسين الظروف وحل المشكلات والكفاح في الحياة على الرغم من كل الصعوبات والتحديات، فما أضيق العيش لولا فسحة الأمل.

فشلهم مرة يعني القعود وعدم المحاولة، وخوفهم من التجربة مقدم على حب الاكتشاف والمغامرة، فهم مشاهدون أكثر من كونهم لاعبين في الميدان.كم جعلت منهم هذه النظرة عشاقاً للتبرير لا للتفكير، وباحثين عن أعذار بدل أن يبحثوا عن أفكار وأعمال وإبداعات وممارسات تحسن من حياتهم وترتقي بعالمهم.

كم حرمت هذه النظرة أصحابها من الفائدة أو من المتعة أو من التزود من الخير أو من التفكير المشرق في الحياة، فهي تكرس لديهم أنه لا حل، مع أن الله يقول: ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 6].

كيف لم يعرفوا بأن هذا المستوى من الضغط والتوتر والضيق يجعل العقل لا يعمل بطاقته الكافية، وأن كل هذه العقبات تؤثر في مخرجات

حياتهم، وجودة عيشهم، ومستقبل حياتهم.

كم حرمت هذه النظرة أصحابها من جنة في الدنيا التي يعيش بها الإيجابيون والمتفائلون والمبادرون والعاملون والجادون والطامحون والمكافحون والصامدون مهما أغلقت أمامهم الأبواب، واستصعبت عليهم الأيام، وتكدرت الأحلام. فهم لا يكلون ولا يملون من المحاولات، فإن فازوا ظفروا بشرف النجاح، وإن خسروا فازوا بشرف المحاولة.

وهنا، هم لا يجدون بداً من المحاولة والإصرار للخروج من الأزمة، وتفعيل الحلول، والصمود في وجه العاصفة، وانتظار هطول المطر.

إن السلبية وأجواء التشاؤم لهي من أكثر ما يجلب على أجسادنا الأمراض والعلل، فالنفس بحاجة إلى بيئة صحية متوازنة للعيش والطمأنينة والسعادة. وهذا الجو لا يتوافر فيه هذا الأمر بتاتاً بكل أسف، بل هو جو قاتل لكل جميل وماتع ومفيد، وهو مؤثر سلبي -بكل أسف- على المستوى التربوي فيما يخص أبناءنا، إذ إن هذه البيوت السوداوية تخرِّج الفاشلين والمنحرفين وغير القادرين على التكيف مع الحياة إلا إن وضعوا حاجزاً بينهم وبين هذه البيئة السلبية، واعتمدوا على الله ثم قواهم الذاتية، فهم في مأمن من كل هذا الغثاء والتلوث الفكري الذي لا يقدر البعض حجم الضرر الصادر منه على الفرد والمجتمع.

- **كيف يمكننا أن نخلع النظارة السوداء إلى الأبد؟**

1) أعد النظر في تركيزك، وحوله من السلبية إلى الإيجابية، ومن السواد إلى البياض، ودوماً ابحث عن الجزء الممتلئ من الكأس، وسوف تتغير نظرتك إلى الكثير من معاني الحياة.

2) ابتعد عن البيئة السلبية بشكل عاجل، ولا تتعرض للعدوى منها، وراجع صداقاتك وعلاقاتك دائماً.

3) تذكر دوماً أن استمرار لُبسك للنظارة السوداء يفقد الكثير من الفرص والمشاريع.

4) المعاناة هي من صنع العظماء، فلماذا تقتلك أنت، سؤال وجيه ردده دائماً لتعرف أن النجاح طريقة تفكير وتدبير، ومنهجية سلوك وتصرف، واستراتيجية تخطيط وتنظيم.

5) خلق الله الناس في كَبَدٍ؛ أي في شد وجذب ومجاهدة، فلا تطلب عيش الجنة في الدنيا، واعمل بجد، وتوكل على الله دائماً فهو حسبك، فما كان من خير فسوف يأتيك، وما كان من شر فسوف يصرفه عنك، وكن واقعياً ولكن فكر بطموح دائماً، ولا تكن تقليدياً، وتعلم كيف تفكر خارج الصندوق.

6) أن تحاول فتتعثر مرة وتنجح مرة، خير لك من ترديدك الدائم لكلمة لا أقدر، لا أستطيع، مستحيل.

7) حتى في أحلك الظروف، وفي أصعبها، هناك مغانم وفرص، فكن صاحب العقل المتوقد، القارئ لما بين السطور، والمستثمر للظروف والفرص.

8) استفد من تجارب الناجحين، وكيف تجاوزوا الصعوبات ونهضوا بعد السقوط، وأصروا على النجاح، وقاتلوا من أجل تحقيق ذواتهم، وسوف ترى ما يذهلك في سيرهم.

9) خسارتك لمعركة من معارك الحياة لا يعني الهزيمة، بل انسحابك من الميدان.

10) عالم الصعوبات والضغوطات والتحديات لا ينتهي، ولكن تعلم فنون إدارة الضغوط، وتقنيات حل المشكلات، فلكل داء دواء ولكل أزمة مخرج.

قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (268) يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 268].

لقد علمتني درساً لن أنساه

كان الفيلسوف الكبير وتلميذه يتجولان صباحاً بين الحقول عندما شاهدا فردتي حذاء قديم مركونتين على جانب الطريق، وخمنا أنهما يخصان -على ما يبدو- الرجل الفقير الذي يعمل في أحد الحقول القريبة، والذي يبدو أنه على وشك الانتهاء من عمله.

التفت التلميذ إلى الفيلسوف وقال له: «دعنا نلهو قليلاً مع الرجل ونسخر منه؛ بأن نخدعة ونخبئ الحذاء، ثم نخفي أنفسنا خلف الشجيرات، وننتظر لنرى مدى حيرته عندما لا يستطيع إيجاد الحذاء...».

يا صديقي الصغير -أجاب الفيلسوف- لا يجب أن نسلي أنفسنا أبداً على حساب الفقراء. وبدلاً من هذا فأنت إنسان غني، ويمكن أن تعطي نفسك متعة أكثر من خلال هذا الرجل الفقير، هيا ضع عملة معدنية (ذهبية) في كل من فردتي الحذاء، ثم لنختبئ ونراقب كيف سيؤثر ذلك عليه.

نفذ التلميذ ما أمره به الفيلسوف؛ فوضع عملة ذهبية في كل من فردتي الحذاء، ثم ذهبا واختبأا خلف الشجيرات القريبة بحيث لا يراهما العامل عند قدومه، وطفقا يرقبان الموقف، وسرعان ما انتهى الرجل الفقير من عمله، وعاد عبر الحقول إلى حيث ترك فردتي حذائه ومعطفه.

وبينما كان الرجل الفقير يضع معطفه، دفع بإحدى قدميه إلى داخل فردة الحذاء الأولى، وعندما أحس بشيء صلب بداخله، توقف، وانحنى لينظر ماذا يمكن أن يوجد بداخل فردة الحذاء، وعندها، وجد العملة

الذهبية. بدت الدهشة والتعجب على سمات وجهه، وحملق في العملة، ثم أدارها في يده، وأعاد النظر إليها مرات ومرات.

وأخيراً، التفت حوله ههنا أو هناك، ولكن لم يكن أحد ظاهراً أمامه. ومن ثم، فقد وضع العملة في جيبه، ثم واصل ارتداء الفردة الثانية من الحذاء، وفي هذه المرة كان شعوره بالدهشة والمباغتة بوجود العملة الثانية مزدوجاً.

لقد تغلب شعوره عليه، فلقد ركع على ركبتيه، ونظر إلى السماء، وابتهل بصوت عال معبراً عن شكره الجزيل لرب العالمين، الذي يعلم وحده مدى مرض زوجته التي لم يكن لها من يعينها أو يساعدها، وبأحوال أطفاله الذين تركهم بلا خبز، وأخذ صوته يرتفع بالشكر لله الذي أرسل له هذه النقود من حيث لا يعلم، وكيف أنها ستعينه على إنقاذه وأسرته من لدغة البرد القارس.

والواقع أن هذا المشهد قد أثر كثيراً في التلميذ الواقف غير بعيد خلف الشجيرات، حتى إن عينيه قد اغرورقتا بالدموع.

والآن -قال الأستاذ لتلميذه- ألا تشعر بغبطة أكثر مما كنت ستشعر به إذا سخرت من هذا الرجل كما كنت تنوي؟

أجاب التلميذ الشاب: لقد علمتني درساً لن أنساه ما حييت، لقد أحسست الآن بصدق الكلمات التي لم أفهمها أبداً من قبل.

أستاذي أرجوك لا تحطمني

بسعادة يدرس الثانوية العامة، وبكل أمل وتفاؤل وإشراقة نفس، تراوده أحلام أنه قد قرب من تحقيق أمنيته؛ وهي طرد الفقر وذله عن بيته.

كان حفل الوداع، ولكن على طريقة أستاذنا التربوية.

- ماذا تريد أن تدرس؟

رفع البعض أصابعهم بحماس، وتطايرت الأجوبة المعتادة: طبيب، مهندس، ضابط، طيار.

وأنت؟!

فبهت صاحبنا، وباغته السؤال، فهو عادة من الفئة غير المرضي عنهم؛ فالأستاذ كان يتجاهل جميع الفصل إلا شلة بعينها، تجلس أقصى يسار الفصل، وحق له ذلك، فهم طلبة متفوقون، نظيفو الجسم، أنيقو المظهر، إن اقترب منهم فسوف تهب عليه أنواع العطور القوية، ويحاول أن يطيل المكوث جهتهم لينقذ أنفه من رائحة بقية الطلبة أبناء الفقراء ذوي الرائحة الكريهة والمنظر المتسخ.

إن هؤلاء أبناء علية القوم، وعلى رأسهم ابن مدير المدرسة، وابن الموجه التربوي، وابن صاحب الشركة التي اشترى منها السيارة بالأقساط.

هؤلاء ذوو فكر، وحيث كان الغنى كان العقل والأدب والرزانة، وأينما كان الفقر كان الشيطان الذي ينزع ورقة التوت فتبين سوءة المرء للجميع، فتكشف جهله وسوء أدبه وعجزه وقلة حيلته وهوانه على الناس.

زمجر المدرس: وأنت؟

حينها فقط سأل نفسه: حقاً ماذا أريد؟

طوال هذه السنوات لم تتيسر له الفرصة ليسأل نفسه. لعل تربيته الفقيرة حرمته حتى حق التفكير، كان هدفه أن ينهي الثانوية لا غير.

وهذا بحده يعد إنجازاً عظيماً في أسرته، فهو ابن لأب أمي مزارع، قام أحد الميسورين بالسماح له بالعيش في مزرعة نخيله، والتكسب منها مقابل الاهتمام بها، وتزويده بمنتجاتها، لذا فهو يقذف بحقيبته من الباب؛ ليهب لمساعدة والده مع إخوته، وكل يوم يكون هناك حدث جديد يشغله؛ مثل ولادة بقرة، بيع عنزة، موت دجاج، تلقيح النخيل، صرم النخيل، وهكذا.

لا يفتح حقيبة مدرسته إلا بعد أن يعود والده إلى المنزل، ويتناول الجميع وجبة العشاء، بالطبع وضع كهذا لا ينتج متفوقاً مهما كان مستوى ذكائه. ولكن حلمه بأن ينهي الثانوية التي فشل أخوه الأكبر في تحقيقها، جعله يضاعف جهده، ليرفع رصيد درجاته.

نفد صبر المعلم.

- اجلس، أعرف أنك لن تدرس الجامعة.

وعاد المعلم أدراجه إلى شلته المدللة، إلا أنه سمع صوتاً واثقاً ينطلق من خلفه:

- بل سأدرس في الجامعة وسأصبح طبيباً.

لماذا اختار الطب؟! يبدو أنها أكثر كلمة لصقت بذهنه، ربما لسهولة مخرجها، لا أدري، ربما، ولكن ما ردة فعل معلمنا صاحب التربية الحديثة؟؟!!.

قهقه عالياً، فرددت جدران الفصل صداه: أنت ستصبح طبيباً؟.

يا لرفع المعنويات والهمم! وليته اكتفى بما قال! بل عقب تعقيباً

رائعاً: سأقطع ذراعي إن أصبحت طبيباً.

وضج الفصل بضحك هستيري.

وكأنه أصيب بصعقة قلبت أمره رأساً على عقب، فتساءل: لماذا يضحكون؟!

وما زال ضحكهم يسبب ضجيجاً لدماغه، يجعله كسائل يغلي في وسط مكتوم، يكاد يصل به إلى حد الانفجار.

أمسك رأسه بكلتا يديه كي لا ينفجر، ونظر إلى زملائه الطلاب ليرى من فيهم يضحك؟ آه إنهم أصحاب الصف الأول، شلة القوة المضاعفة، كانوا يشيرون إليه ولسان حالهم يقول: من أنت كي تصبح طبيباً؟ فأنت لا تعدو كونك فقيراً ابن فقير.

ومن غيرهم يضحك؟

آه إنهم أصحاب الصف الأخير من أبناء جيرانه الفقراء، وكانوا يشيرون إليه ولسان حالهم يقول: لم تلبس ثوباً ليس ثوبك؟ أم أخذك الحماس الطائش وأردت تقليد أبناء علية القوم؟! وأسَرَّها في نفسه ولم يُبْدها لهم، وعزم على أمر، وبدأ يفكر في كيفية ترتيب أوراقه ليحقق ما عزم عليه.

قُبل بكلية الطب، وتخرج، بل وتخصص، وأصبح استشارياً، وفتح عيادته الخاصة التي تحولت إلى مركز، ثم مركز آخر فمركز ثالث.

وكلما سأله أحد عن سره قال: يعود الفضل في دراستي -بعد الله- إلى ذلك الأستاذ الذي سخر مني. أتمنى أن أقابله لأخبره أنني أصبحت طبيباً، لكنني لا أتمنى أن يقطع ذراعه، بل أتمنى أن يقطع فكره المحبط عن الطلاب.

اطلب من اللّه

في لقاء صحفي مع أحد رجال الأعمال المعروفين في الإمارات، سألوه عن موقف مرّ به، فقال: في إحدى الليالي شعرت بشيء من القلق، فقررت أن أتمشى في الهواء الطلق، وبينما أنا أمشي في الحيّ مررتُ بمسجد مفتوح، فقلت: لم لا أدخل لأصلي فيه ركعتين؟

قال: فدخلت، فإذا في المسجد رجل قد استقبل القبلة، ورفع يديه يدعو ربه ويلحّ عليه في الدعاء، فعرفت من طريقته أنه مكروب.

قال: فانتظرتُ حتى فرغ الرجل من دعائه، فقلت له: رأيتك تدعو وتلحّ في الدعاء كأنك مكروب، فما خبرك؟

قال: عليّ دين أرّقني وأقلقني، فقلت: كم هو؟ قال: أربعة آلاف.

قال: فأخرجت أربعة آلاف، وأعطيتها إياها، ففرح بها، وشكرني، ودعا لي، ثم أخذت بطاقة فيها رقم هاتفي وعنوان مكتبي وقلت له: خذ هذه البطاقة، وإذا كان لك حاجة فلا تتردد في زيارتي أو الاتصال بي. وظننت أنه سيفرح بهذا العرض، لكني فوجئت بجوابه، أتدرون ما كان جواب الرجل؟؟

قال: لا يا أخي، وجزاك الله خيراً، لا أحتاج إلى هذه البطاقة، فكلما احتجت حاجة سأصلي لله، وأرفع يدي إليه، وأطلب منه حاجتي، وسييسر الله قضاءها كما يسّرها هذه المرة.... انتهت القصة.

هذه القصة ذكرتني بذلك الحديث الصحيح: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً**»، أي تبدأ يومها جائعة، ولا ترجع آخر يومها إلا وقد شبعت.

اللهم ارزقنا التوكل عليك والتفويض إليك. آمين.

الزوجة الصالحة

يروي الشيخ أبو إسحاق الحويني في أحد دروسه قصة أعجب من العجب؛ يقول الشيخ إنه زار أحد أصدقائه فوجده كئيباً حزيناً، فلما سأله عن سبب حزنه بكى الرجل بكاءً عظيماً، ثم قال: يا شيخ، زوجتي مريضة، وأنا ألازمها منذ أيام.

يقول الشيخ أبو إسحاق الحويني: استغربت منه هذا البكاء العظيم، فلما انتبه الرجل قال: يا شيخ، هل تستغرب أنني أبكي على زوجتي هذا البكاء، فلو عرفت عنها ما أعرف لعذرتني ولم تلمني، فاسمع مني يا شيخ.

يقول الرجل إنه رجل فقير الحال، في وظيفة متواضعة، لا يكاد يسد حاجته، وقد شاء الله أن يعرض عليه أحد الأشخاص، لِمَا رأى من أمانته وصلاحه، الزواج بابنته، وكان أبو الزوجة غنياً من الأغنياء.

تم الزواج، وكانت نعم الزوجة الصالحة؛ جعلت حياته جنة في الأرض بكل ما تعني الكلمة، إلى أن جاءني والدها يوماً وقال لي: اتق الله يا فلان، واشتر لزوجتك بعض الخبز والجبن والفلافل والفول، ولا تكثر من اللحم، فقد ملت من أكل الدهن واللحم والفاكهة. يقول الرجل: فشدهت، ولم أدر ما أجيب، ولم أفهم ماذا قال وماذا يقصد حتى قابلت زوجتي، وسألتها، فكانت المفاجأة التي حركت الأرض من تحت أقدامي.

لقد كانت زوجته كلما تذهب إلى أهلها ويقدمون لها اللحم والطبخ الدسم والفاكهة كانت تقول: لا أريده؛ فقد مللته، ولا تأكل شيئاً منه،

وتقول إن زوجها لا يحرمها من شيء منه، بل إنه أكثر عليها منه حتى ملت من اللحم والفاكهة، لكنها تشتهي الجبنة الحامضة والفلافل وما شابهها، فهو لا يحضره لها، بينما الحقيقة أنها في بيت زوجها لم تكن ترى اللحم إلا في الشهر أو الشهرين مرة، وكان أغلب أكلها من الجبنة الحامضة والفلافل والفول، فلم يكن الرجل يملك ما يسد جوعه ولا جوع زوجته، لكن الزوجة أرادت أن ترفع زوجها عند أهلها، وتجعله كبيراً في أعينهم، كانت تتحمل الجوع والحرمان، ولا ترضى أن يعيره أحد بفقره وحاجته، بل كانت تصبره وتشد من أزره وتذكره بموعود الله له إن صبر، ولم يمنعها أنها كانت الغنية الثرية التي حرمت متعة الدنيا، بل كانت نعم الزوجة الصالحة الصابرة. فقال الرجل للشيخ أبي إسحاق الحويني: هل علمت الآن ما سبب بكائي وخوفي عليها يا شيخ؟ وهذا موقف من مواقفها فقط، فلو حدثتك عنها وعن صلاحها وصيامها وقيامها وتقواها وحسن خلقها معي ومع الناس ما أوفيتها حقها. فأطرق الشيخ أبو إسحاق رأسه وانصرف وهو يدعو لها من كل قلبه، فوالله إنها لنعم الزوجة، فلا إله إلا الله إخواني وأخواتي الكرام، لا أخفيكم أنني عندما سمعت قصة تلك الزوجة الصالحة نزلت دموعي على عيني إكباراً وإجلالاً لهذه الزوجة، التي عرفت كيف تتاجر مع ربها، وعلمت أن رضى زوجها من رضى ربها، وهو مفتاح جنتها.

بر الوالدين

يحكي أحدهم قائلاً: حدث خلاف بيني وبين والدتي، حتى وصل إلى تعالي الأصوات!

كان بين يدي بعض الأوراق الدراسية، رميتها على المكتب وذهبت لسريري والهم -والله- يغشى قلبي وعقلي.

وضعت رأسي على الوسادة كعادتي كلما أثقلتني الهموم، حيث أجد أن النوم خير مفر منها!

خرجت في اليوم التالي من الجامعة، فأخرجت جوالي وأنا على بوابة الجامعة، وكتبت رسالة أداعب بها قلب والدتي الحنون، فكان مما كتبت:

علمت للتو أن باطن قدم الإنسان يكون أكثر ليونة ونعومة من ظاهرها يا غالية، فهل يأذن لي قدركم، ويسمح لي كبرياؤكم، بأن أتأكد من صحة هذه المقولة بشفتيَّ؟

أدخلت جوالي في جيبي، وأكملت طريقي، ولما وصلت إلى البيت وفتحت الباب وجدت أمي تنتظرني في الصالة وهي بين دمع وفرح!

قالت: لا، لن أسمح لك بذلك؛ لأنني متأكدة من صحة هذه المقولة، فقد تأكدت من ذلك عندما كنت أقبل قدميك ظاهراً وباطناً يوم أن كنت صغيراً.

قصة الحياة

سافر ثلاثة من الشباب إلى دولة بعيدة لأمر ما، وكان سكنهم في عمارة تتكون من 75 طابقاً... ولم يجدوا سكناً إلاَّ في الدَّور الخامس والسبعين.

قال لهم موظف الاستقبال: نحن في هذه البلاد لسنا كنظامكم في الدول العربية... فالمصاعد مبرمجة على أن تغلق أبوابها تلقائياً عند الساعة (10) ليلاً... وعليه، فلا بد أن يكون حضوركم قبل هذا الموعد.. لأنها لو أغلقت لا تستطيع قوة أن تفتحها، فالحاسب الذي يتحكم فيها في مبنىً بعيدٍ عنا! هل هذا مفهوم؟؟

قالوا: مفهوم.

في اليوم الأول خرجوا للنزهة، وقبل العاشرة كانوا في سكنهم... لكن ما حدث بعد ذلك أنهم في اليوم التالي تأخروا إلى العاشرة وخمس دقائق، وجاؤوا بأقصى سرعتهم كي يدركوا المصاعد... ولكن هيهات!!، فقد أغلقت المصاعد أبوابها.

توسلوا وكادوا يبكون!!!.. دون جدوى، ولذلك فقد أجمعوا أمرهم على أن يصعدوا إلى غرفتهم عبر السلالم (الدرج) مشياً على الأقدام.

قال قائل منهم: أقترح عليكم أمراً... أقترح أن كل واحدٍ منا يقص علينا قصة مدتها مدة الصعود في (25) طابقاً... ثم الذي يليه، ثم الذي يليه حتى نصل إلى الغرفة.

قالوا: نِعْم الرأي.. توكل على الله وابدأ أنت أولاً.

قال: أما أنا فسأعطيكم من الطرائف والنكت ما يجعل بطونكم تتقطع من كثرة الضحك.

قالوا: هذا ما نريد... وفعلاً حدَّثهم بهذه الطرائف حتى أصبحوا كالمجانين، ترتج العمارة لضحكهم.

ثم... بدأ دور الثاني فقال: أما أنا فعندي لكم قصصٌ لكنها جادة قليلاً.

فوافقوا.. فاستلمهم مسيرة خمسة وعشرين طابقاً أخرى.

ثم جاء دور الثالث.. فقال لهم: أما فليس لكم عندي إلاَّ قصص مليئة بالنكد والهمِّ والغمِّ.. فقد سمعتم النكت.. والجد.

قالوا: قل.. أصلح الله الأمير!! حتى نصل ونحن في أشد الشوق للنوم.

فبدأ يقص عليهم من قصص النكد ما ينغّص عيش الملوك!!.. حتى إذا ما وصلوا إلى باب الغرفة، وكان التعب قد بلغ بهم كل مبلغ، قال لهم: سأقص عليكم آخر قصة، وأعظم قصة نكد في حياتي.

القصة هي أن مفتاح الغرفة نسيناه لدى موظف الاستقبال في الدور الأرضي!...

فأغمي عليهم.

القصة لها عبرة

فالشاب منَا يلهو ويلعب، ويرتكب الحماقات، في السنوات الخمس والعشرين الأولى من حياته.. سنوات هي أجمل سنين العمر.. فلا يشغلها بطاعة ولا بعقل ولا بحكمة، ثم.. يبدأ الجد في الخمس والعشرين الثانية.. يتزوج.. ويرزق بأولاد.. ويشتغل بطلب الرزق، وينهمك في الحياة.. حتى يبلغ الخمسين من العمر، ثم في الخمس والعشرين الأخيرة من حياته (أو ما

يتبقى من عمره) يبدأ النكد... فتعتريه الأمراض.. ويتنقل بين المستشفيات، وينفق الأموال على العلاج.. ويبدأ همّ الأولاد.. فهذه طلقها زوجها.. وذلك بينه وبين إخوته مشاكل كبيرة، وخصومات بين الزوجات تحتاج تدخل هذا الأب... وتتراكم عليه الديون التي يتخبط فيها من أجل إسعاد أسرته، فلا هُم الذين سعدوا، ولا هو الذي ارتاح من هم الدَّين، حتى إذا جاء الموت.. تذكر أن المفتاح... مفتاح الجنة... كان قد نسيه في الخمس والعشرين الأولى من حياته.. فجاء إلى الله مفلساً.. ﴿ربِّ ارجعون﴾.. ويتحسر، ويعض على يديه ﴿ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾.

ويصرخ: ﴿ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً ﴾، فيجابَ: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: 57].

رسالة إلى متقاعد

التقاعد مرحلة جديدة من العطاء

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤكد أن (التقاعد) مرحلة نعيش جوها، إما ببلوغها أو بالعيش مع من بلغها؛ لتمضي سنة الحياة، ضَعفٌ ثم قوة ثم ضعف: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم:54]، جيل يعقبه جيل، لتتم سنة الاستخلاف، وعمارة هذه الأرض.

هذا التصنيف الوظيفي (متقاعد، وغير متقاعد) فرضته أنظمة العمل، ليحل موظف بدل موظف آخر، ولكنه ليس حكماً على الإنسان بالموت، ولا منعاً له من العطاء في ميادين أخرى، فهو تصنيف لا يصح أبداً أن يسري إلى بقية حياة المتقاعد.

ربما كانت نظرة المجتمع إلى هذه الفئة الغالية، وتقبُّل كثير من هذه الفئة واستسلامه لهذه النظرة له أثره فيما يُسمع أو يُرى من معاناة بعض أفراد هذه الفئة التي بذلت وأعطت فترة من الزمن!

والواقع أن النصيب الأكبر يقع على ذات الشخص، وطريقة تعامله مع المتغيرات حوله، وفي طريقة تفكيره ونظرته إلى الحياة.

ولعلي -في هذا المقام- أقف بعض الوقفات التي أرجو أن تضيف شيئاً في هذا الموضوع الحيوي:

- **الوقفة الأولى:**

إن لكل مرحلة من العمر جمالها.. فالتقاعد عن العمل الرسمي هو في حقيقته انتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى من العطاء، والعمل، إذ لا توقف في حياة العبد: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر:37].

وصاحب الهمة العالية إذا بلغ هدفاً، بحث عن هدف آخر، مثله أو أعلى منه ليصل إليه، ولا يوقفه عن السباق إلى مجد الدنيا والآخرة إلا توقف نفسه، ولئن توقفت دورة الدوام الرسمي، فلن تتوقف عجلة النفع والانتفاع، بعمل صالح، وصدقة جارية.

لذا، يجب أن يُفهم كلام العلماء -الذين يتحدثون عن الاستعداد للآخرة- على وجهه، فحينما يؤمر صاحب هذه السن بالذات بالإقبال على الله تعالى، والدار الآخرة، فهذا لا يعني صورةً محددة من الطاعة، فالعبادات (كالصلاة وقيام الليل، وقراءة القرآن، والصدقة، والصيام، والحج والعمرة) كلها لون من ألوان القربات، والجهاد بالمال والنفس لون من ألوان القربات، والتصدي لحل مشكلات الناس لونٌ، والشفاعة لمن يحتاجها عند المسؤولين لونٌ، المهم أن يجتهد في عمارة وقته بكل قربةٍ يستطيعها، وهذا ما فهمه أهل الإيمان من الأوائل والأواخر.

وإني لأعرف رجلاً بلغ الثمانين، وهو قريب من مرتبة العوام في العلم، ولكنه يحمل شيئاً يسيراً منه، فبعد أن تقاعد قرر أن يبلغه، أخذاً بحديث: «**بلغوا عني ولو آية**»، فطاف البلاد، وهو شيخ كبير يقاد بعربة..

وأعرف رجلاً قرر أن يحفظ القرآن بعد أن تقاعد، فحقق مراده..

إنها حياة الروح..

وإذا كانت النفـوس كبـــارا   تعبــت في مرادها الأجسـام

• **الوقفة الثانية:**

بلوغ هذه السن نعمةٌ عظيمة من الله ينبغي شكرها واستثمارها، فإن الفَسْحَ في أجل المؤمن خيرٌ له، فهو فرصةٌ للتزود من الأعمال الصالحة؛ الدينية والدنيوية.

دخل سليمان بن عبد الملك المسجد، فرأى شيخاً كبيراً، فدعا به، فقال: يا شيخ! أتحب الموت؟ قال: لا، قال: ولِمَ؟! قال: ذهب الشباب وشره، وجاء الكبر وخيره، فإذا قمتُ، قلت: بسم الله، وإذا قعدت، قلت: الحمد لله! فأنا أحب أن يبقى لي هذا.

فانظر كيف قلبَ هذا الشيخ نظرته إلى الحياة، فقد نظر إليها نظرة إيجابية، فهي فرصة للتزود، وملء خزائن الآخرة؛ بمثل هذه الأذكار التي تدل على تعلق بالله.

ولما وقعت إحدى الفتن -في زمان التابعين- قال أحدهم لصاحبه: يا فلان، طاب الموت! فقال له: يا بن أخي! لا تفعل، لساعة تعيش فيها تستغفر الله، خيرٌ لك من موت الدهر.

ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تمني الموت بسبب ما يصيب الإنسان من مصائب وآلام، فقال -كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه-: «**لا يتمنى أحدكم الموت، ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً**».

• **الوقفة الثالثة:**

بلوغ هذه المرحلة يعني تجاوز سن الرشد -وهو الأربعين- بعشرين سنة، وهذا ما يجعل العبد المؤمن يفكر كثيراً في نصيبه من هذه الآية

الكريمة: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً، حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف:15]، قال بعض المفسرين: وفي هذا دليل على أن اشتغال الإنسان بطاعة الله يقوى في هذا الوقت، ففي الأربعين تناهى العقل، وما قبل ذلك وما بعده منتقص عنه.

صبا ما صبا،حتى علا الشيب رأْسَه فلما علاه، قال للباطلِ: ابعدِ

• **الوقفة الرابعة:**

دِينك دينٌ عظيم.. فلم يقصُر العبادة على لون معين، أو طريقة خاصة، بل قد جعل الله فرصاً في التعبد تناسب أحوال الإنسان من صحة ومرض، وحل وترحال، وقوة وضعف. سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت، فدلني على عمل أتشبث به؟ فيقول له الناصح الرؤوف الرحيم صلى الله عليه وسلم: «**لا يزال لسانك رطباً بذكر الله عز وجل**».

وأَجَلُّ أنواع الذكر القرآن، ونِعْم الصاحب هو للشيب والشباب، ولكنه في حق الشيب له شأن آخر!

• **الوقفة الخامسة:**

ما أجمل العطاء، وفي مثل هذه السن خصوصاً! إنه ينبئ عن فقه صحيح لحقيقة هذا المال الذي عما قريب سينتقل إلى الورثة! فمَالُ الإنسان

ما قَدَّمَ، ومالُ وارِثه ما أَخَّرَ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

فإن كنت ممن وسّع الله عليك، ورزقك من فضله، فما أجمل أن تبادر إلى تثبيت صدقةٍ جارية لك، يمتد أثرها لك من بعد موتك.. بادر بها أنت الآن، فلعلك ترى ثمرتها قبل أن تموت، ولا تمهل، وتقول: سأوصي الأولاد أن ينفذوها، فخير البر عاجله، والوصية قد يعتري تنفيذها ما يعتريه، والإنسان عندما يريد السير في طريق مظلمة فإنه يجعل السراج أمامه لا خلفه.

- **الوقفة السادسة:**

تجاوز الستين من العمر، يعني شيئاً آخر، ألا وهو الدخول إلى معترك المنايا، ففي الحديث: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك**»، وأخوف من هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة**».

قال العلماء في بيان قوله: (فقد أعذر الله إليه): أي: أزال الله عذره، فلا ينبغي له حينئذ إلا الاستغفار والطاعة، والإقبال على الآخرة بالكلية، ولا يكون له على الله عند ذلك حجة.

رسالة إلى زوجة

إلى الزوجات اللواتي يشتكين من أزواجهن

كثيرات هن الزوجات اللواتي يشتكين من قلة حديث أزواجهن معهن... وعدم الاسترسال معهن في الحديث كما كان الحال أيام الخطوبة وشهر العسل... مما يجعلهن يشعرن بشيء من الحزن والهم والضيق، وقد يتبادر إلى أذهانهن أنهن أصبحن غير مرغوب فيهن من قبل أزواجهن.

ولكن أختي الزوجة... لو توقفتِ قليلاً وأعدتِ شريط حياتك الزوجية قليلاً للوراء، وتفكرت في علاقتك مع زوجك كيف كانت وأين صارت... فقد تجدين من الأسباب والمسببات ما جعل زوجك يسلك هذا المسلك... فكما هو معلوم أن لكل فعل له ردة فعل مساوية له في المقدار ومعاكسة له في الاتجاه... فقد تتحملين أنتِ كزوجة جزءاً كبيراً من المسؤولية... فدعونا أحبتي نتعرف أهم الأسباب الرئيسة المسببة لهذه المشكلة... حتى يسهل علينا علاجها ووضع الحلول المناسبة لها... لتعود العلاقة الزوجية بينكِ وبين زوجك إلى سابق عهدها من حسن التواصل والاتصال.

1) كثيرات من النساء يُسئن تفسير صمت الرجال... ويرجع السبب الرئيسي لذلك إلى عدم فهم المرأة لطبيعة الرجل وخصائصه النفسية. فكثيراً ما يتوقف الرجل فجأة عن الكلام، ويصبح صامتاً إذا كان متضايقاً أو يعاني ضغوطاً نفسية أو مشاكل مادية أو اجتماعية أو وظيفية، ففي مثل هذه الحالات يصبح الرجل كثير النسيان، ومنشغل البال، وغير متجاوب مع من حوله... فالرجل يميل إلى الصمت والانعزال والانسحاب من الحياة الاجتماعية عندما يتعرض لمشاكل

وضغوط نفسية، على عكس المرأة التي تلجأ للتنفيس عن مشاعرها من خلال الحديث عنها لتشعر بالتحسن... فالزوجة الذكية هي التي تراعي هذه الفروق النفسية بين الرجل والمرأة، فتوفر لزوجها مساحة آمنة من الخلوة والانعزال إذا كان يعاني ضغوطات مادية أو مشاكل اجتماعية أو وظيفية.

2) كثرة طلبات الزوجة وتشكيها قد يجعل الزوج يفضل عدم مجالستها والحديث معها... عزيزتي الزوجة أحسني استقبال زوجك ساعة عودتة إلى المنزل بالابتسامة العذبة، والترحاب الجميل، والهندام الحسن، ودعيه أول ما يدخل البيت بمفرده وانشغلي عنه بإعداد كأس من العصير... ولا تنسي وأنتِ تقدمين له العصير أن تطربي أذنه ببعض الكلمات الطيبة التي قد تنسية تعب يومه، مثل: الله يعطيك العافية.. عساك على القوة... ربنا لا يحرمنا منك... الله يطول لنا في عمرك ويبارك لك في رزقك... وإذا كانت عندك أي طلبات أو شكاوى فاختاري الوقت والمكان والأسلوب المناسب لطرح مثل هذه مواضيع.

3) إحساسه أنك لن تفهميه كرجل كونك امرأة... إن من أهم المفاتيح للوصول إلى قلب الرجل هو معرفتة اهتماماته وميوله... فحاولي -عزيزتي الزوجة- أن تشاركي زوجك ميوله واهتماماته.. فإذا كانت له هواية معينة فابحثي عن الكتب والمواقع التي تتحدث عنها، واقرئي فيها لتستطيعي مناقشته فيها، فالتحدث معه في المواضيع التي يحبها، ومشاركته اهتماماته، من أهم الأشياء التي تجعل زوجك يميل إليكِ ويستمتع بالحديث معك.

4) عدم ترك المجال له ليعبر عما بداخله... دعي زوجك يعبر عن مشاعره بكل حرية، ولا تقاطعيه مهما كانت الأسباب.. وتعلمي فن الاستماع والإنصات، وركزي معه جيداً، وكوني مستمعة جيدة... فإن الله خلق لكِ أذنين وفماً واحداً؛ لتستمعي أكثر مما تتحدثي...

5) عدم ثقته بكتمانك سره، وقد يكون ذلك عن تجربة سابقة، فكوني -عزيزتي الزوجة- أمينة على أسرار زوجك وبيتك، ولا تفشيها لأي أحد كان... وأخفي عيوب زوجك، وأظهري محاسنه، واحترميه واشكري فضله... وبذلك تنالي احترامة وثقته.

6) خوفه من أن يفتح معك مواضيع جانبية قد تزعجك وتثير أعصابك.. افتحي المجال أمام زوجك كي يعبر عن مكنونات نفسه تجاهك، سواء بالسلب أو بالإيجاب.. واجعلية يشعر بالأمان، وبأن له الحق في انتقادك وتقويم سلوك.. وتقبلي كل ما يقوله برحابة صدر... وليكن انتقاده لسلوكك أو تصرفاتك بمثابة حافز لكِ لتحسين سلوكك وتطوير ذاتك للأفضل...

7) انشغال الزوجة بتربية الأولاد أو بعلاقاتها الاجتماعية... تعاني كثير من الزوجات كثرة المسؤوليات والأعباء الملقاة على عاتقها... وقد يكون ذلك على حساب الاهتمام والتواصل مع الزوج... فعلى كل زوجة ترغب في السعادة والاستقرار والنجاح لحياتها الزوجية... أن تعرف كيف تنظم حياتها، وترتب أولياتها، بحيث تعطي كل صاحب حق حقه من الرعاية والاهتمام... فيمكنك -عزيزتي الزوجة- أن تخصصي في كل يوم جزءاً من وقتك للانفراد بزوجك.. وحاولي أن تفتحي معة قنوات من الحوار والاتصال... والحوار الذي أعنية هنا

ليس الحديث عن صعوبات الحياة وغلاء المعيشة ومشاكل الأولاد... إنما هو التواصل العاطفي والودي الذي يضفي على العلاقة الزوجية مزيداً من الحب والتفاهم والانسجام.. ويعزز من أواصر التواصل الإيجابي بين الزوجين...

وأهم نصيحة أحب أن أوجها لكل زوج وزوجة:

احرصوا -أحبائي- على أن تخصصوا في كل يوم ساعة أو نصف ساعة تجتمعون فيها مع جميع أفراد الأسرة، تذكرون الله فيها... إما بقراءة أجزاء من القرآن الكريم، أو قراءة كُتب الحديث أو التفاسير... وافتحوا باب الحوار أمام أبنائكم ليعبروا بكل حرية عن آرائهم... لتشكلا أمام أبنائكم نموذجاً صالحاً للتواصل الإيجابي يقتدي به الأبناء في حياتهم المستقبلية... وحتى تعم السعادة والرحمة والسكينة أرجاء هذا البيت العامر بالألفة والتقوى والإيمان... قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: «**لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده**».

ثقي -عزيزتي الزوجة- أن بإمكانك اختراق حاجز صمت زوجك... لا بالنزاع ولا بكثرة التبرم والتذمر، ولكن بالاستعانة بالله، والتحلي بالصبر، واحتساب الأجر.. وبذل المزيد من الحب والجهد في سبيل التغلب على أسباب هذه المشكلة...

قال الشاعر أحمد شوقي:

وما نيل المطالب بالتمني ... ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

رسالة إلى مغترب

رسالة محب إلى أخي في الغربة

بسم الله الرحمن الرحيم

أخانا الحبيب....

تحية من عند الله مباركة طيبة، تحية الإسلام والسلام، والمحبة والإخاء، والود والصفاء، نبرقها إليك وأنت تغادر الديار..

واعلم أنك حينما خرجتَ، خرجتْ قلوبنا تتبعك، ورعشات أطرافنا نحوك تهفو، خرجت تاركاً في كل ركن بسمة مشرقة، وبصمة في الخير ظاهرة، خرجت مودِعاً في أفئدتنا أطيافاً من ذكريات جمة، عشنا لحظاتها، نسعد برؤياك، ونتألَم لغيابك، لكنه قدَرُ الله.

أخانا الحبيب......

هي كلمات للذكرى، وأنت من أهلها نحسبك، ولا نزكيك على الله.

اعلم أن المحبة بين الإخوة لا تفي بحقها الكلمات، ويعجز اللسان والقلم عن بيان مكانتها وعمقها، ولكن هي نفحات من محبين دعتهم محبتهم للتناصح..

كن مع الله يكن الله معك، فمن وجد الله ماذا فقد؟ ومن فقد الله ماذا وجد؟

واعلم أن الغربة الحقيقية هي غربة الدين والأخلاق، فحافظ عليهما يخفف الله عنك في غربتك، وتمسك بهما تجد الله معك في محنتك.

واعلم أن الوطن يحن إليك كما تحن إليه، ففيه خطت قدماك الخطا

نحو المعالي، فله عليك -بعد الله- فضل عظيم، ولا بد من رد الفضل إلى أهله، وهذه شيم الصالحين، فلا تبخل عليه بالرجوع، وإن أغرتك الدنيا بمالها وجمالها، وتذكر أن النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يحن إلى بلده وأرضه، فليكن لك فيه أسوة حسنة، وتذكر أماً وأباً، لهما عليك حق عظيم، وفي برهما الطريق إلى الجنة، وفي البعد عنهما قسوة للقلب وموت للروح...

هي بلادك تنتظر رجوعك ونتاجك، فليكن خيرك لبلدك، فهي أحق البلاد بك، وتذكر قول أمير الشعراء:

هب أن جنة الخلد اليمن   لا شيء يعدل الوطن

أخوك ومحبك

رسالة إلى وزارة التربية

مقترحات لتطوير التربية والتعليم

إخوتي الأعزاء:

هذه الرسالة من إنسان علمته التجارب أن أفضل طريق للنجاح مساعدة الآخرين لتحقيق النجاح، لكن للأسف أقف عاجزاً أمام تحقيق النجاح العلمي لأبنائي بسبب النظام التعليمي التقليدي في المدارس؛ فنظامنا مبني على قاعدة اقرأ احفظ اكتب تنجح، وهو نظام يحول الإنسان إلى آلة، أو مسجل، وطابعة، ويضعف قدراته ومهاراته، أما النظام العالمي الحديث فهو مبني على أساس اكتشاف القدرات، وتطوير المواهب، وأي نظام تعليمي لا يتضمن تعليم خبرات، وتطوير قدرات، واكتساب مهارات، يعتبر تعليماً ضعيفاً، ولذلك نرى ما يحصل لنا اليوم؛ فنحن نملك أقدم الجامعات والمدارس، ونستورد الخضراوات ومياه الشرب من الدول المجاورة، وقبل أن أقدم الاقتراحات، أود أن أطرح بعض الأسئلة:

1) ما ذنب الطالب الذي يرسب لأن الله قد خلقه متميزاً في جانب واحد، بينما يفرض عليه النظام التعليمي أن يتميز في كل المجالات؟
2) ما ذنب الطالب الذي يرسب نتيجة ابتلائه بمعلم غير مؤهل أو مريض نفسياً أو أسلوبه معقد في أحد الدروس، وهو ناجح في الدروس الأخرى؟
3) كيف سنواجه مشكلة الفساد الإداري إذا كان أغلب الطلبة يمارس عملية الغش في الامتحان، وهي بداية لفساد الشخصية؟

4) كيف سنواجه مشكلة البطالة ونحن نخرج أجيالاً غير مؤهلة لسوق العمل؟

لا أريد أن أطيل عليكم، فالآهات كثيرة، وأقدم لكم أهم المقترحات:

1 - اعتماد النجاح في المعدل كأساس للنجاح في المرحلة الدراسية، بحيث يستطيع الطالب الضعيف في أحد الدروس النجاح، وهذا مطبق في العديد من الدول.

2 - إدخال أساليب حديثة في طرائق التدريس، مثل أسلوب التعليم باللعب، وهو أسلوب ممتع ومحبب للجميع، وخاصة في المراحل الابتدائية.

3 - تشكيل لجنة في كل تربية وجامعة لمتابعة وتقييم واختبار جميع المعلمين غير المؤهلين علمياً ونفسياً لهذه المهمة، وإعادة تأهيلهم أو إعفاؤهم.

4 - إدخال مواد جديدة لتدريب الطلبة، وتطوير قدراتهم ومهاراتهم، وتنمية شخصياتهم، وتعليمهم مهارات وفنون الحياة والعمل والإبداع.

5 - وضع نظام للجوائز التقديرية للطلبة المتفوقين في كل درس على انفراد، وليس على أساس المعدل لجميع الدروس، لأن هذا يخلق لدينا مبدعين في جميع المجالات.

مع خالص دعائنا لجميع الطلبة بالنجاح والتفوق، ولوزارة التربية بالعمل بالمقترحات والبدء بالتطوير، ومن الله التوفيق..

محسن جبار

رسالة إلى أمي

إهداء لكل أم

كبرنا.. واكتشفنا أن الدواء ليس عصيراً.. كبرنا واكتشفنا أن جدي لن يعود ثانية كما قالت أمي.. كبرنا واكتشفنا أن هنالك أموراً تخيفُ أكثر من الظلام.. كبرنا وما عدنا نبكي لا على «ريمي» ولا على «سالي»، بل أصبحنا نبكي على قصصنا.. كبرنا لدرجة شعورنا بأن وراء ضحكة أمي ألف دمعة.. ووراء قوة أبي ألفُ مرض.. كبرنا لنجد أن مشاكلنا ما عادت تحل بقطعة حلوى أو فستان أو حقيبة.. وأن والدينا لن يمسكا أيدينا دائماً لعبور الشارع أو منعطفات الحياة.. كبرنا واكتشفنا أننا لم نكبر وحدنا فقط، بل كبر أبوانا معنا، وأوشكوا على الرحيل أو رحلوا فعلاً.. كبرنا جداً.. وعرفنا أن قسوة أمي كانت حباً، وغضبها حباً، وعقابها حباً.. يالها من حياة! وما أغربها من دنيا، وما أقصر العمر.

الله يحفظ والدينا ويرزقنا برّهم آمين

عذراً [فيثاغورس] فأمـي هـي المعـادلـة الأصعـب.

عذراً [نيـوتــن] فأمـي هـي ســــــــر الجاذبيـة.

عذراً [أديســون] فأمـي هي أول مصباح في حيـاتي.

عذراً [أفلاطـون] فأمي هي البقعة الفاضلة في قَلبي.

عذراً [رومـــــا] فكـل الطرق تؤدي إلى حب أمي.

عذراً [جــولييت] فأمي هي حبيبتي.

عذراً للجميع؛ فمهما أحببتكم فلم أحبَّ ولن أحب أحداً مثلما أحببت أمي، فهي امرأة لن تتكرر في هذه الحياة... شكراً أمي لأنك أمي.

لعيون الأم أنشر هذا الكتاب وهذا الدعاء: اللهم إنك تراها: فإن رأيت والدتي مذنبة فاغفر لها وارحمها، وإن رأيتها حزينة فأسعد قلبها، وإن رأيتها فرحة فأتمم عليها فرحها، وإن كانت مريضة، فيا رب اشفها، وإن كانت مهمومة، فيا رب أبعد همها، وإن كانت مرهقة، فبشرها بالأجر العظيم.. آمين يا رب العالمين.

نصائح صحية أغلى من الذهب

1 - **ابتعد عن السموم البيضاء الثلاثة**: الملح والسكر والدقيق الأبيض، تجنبها قدر الإمكان؛ فهي مضرّة بالتأكيد، قلّل من الملح قدر الإمكان، واستعض عن السكر بالعسل، واستخدم الدقيق الأسمر بدل الأبيض.

2 - **مضغ الخضار جيداً**: إن مضغ الطعام جيداً يزيد من نسبة المواد الكيماوية المكافِحة للسرطان، التي تُطلِقها الخضراوات مثل البروكُلي والملفوف والقرنبيط.

3 - **المشي يومياً**: فالمشي اليومي لمدة نصف ساعة أو ساعة يقلّل من إمكانية الإصابة بمرض السرطان بنسبة 18 ٪، ويساعد على التخلّص من 3 كيلوغرامات تقريباً في السنة، ويحافظ على قوام الجسم.

4 - **الإكثار من تناول اللوز**: يفضل تناول اللوز بين الوجبات اليومية، وعند الشعور بالجوع؛ فهي غنية بالعناصر المغذية التي قد يفتقر إليها النظام الغذائي اليومي.

5 - **إضافة القرفة على القهوة**: ضع نصف ملعقة صغيرة من القرفة في فنجان القهوة اليومي، حيث يسهم في خفض مستويات الكولسترول في الدم، ويساعد الجسم على استخدام الأنسولين بفاعلية أكثر، ومن ثم فهو مفيد جداً لمرضى السكّري إذا داوموا عليه.

6 - **لا داعي للعجلة والسرعة**: لا بد من أخذ الوقت عند القيام بالأعمال اليومية؛ لتفادي التعرّض لارتفاع ضغط الدم.

7 - **أضف نصف ملعقة صغيرة من الحبة السوداء** إلى كوب لبن الزبادي خالي الدسم، وتناول ذلك يومياً إن أمكن.

8 - (3) **حصص يومية من الخضار والفواكه:** احرص على تناول الخضار والفواكه بمعدل 3 حصص يومية؛ فبالإمكان أن تخفف من خطر الإصابة بالنوبة القلبية بنسبة 70 ٪.

9 - **الثوم صيدلية عجيبة، يقي من كثير من الأمراض:** الثوم من أعجب الأدوية الطبيعية لكثير من الأمراض، ولكن بعد أكله امضغ شيئاً من الخضراوات الخضراء، مثل البقدونس حتى تزول رائحته، ونظّف فمك قبل الذهاب.

10 - **المر أفضل مضاد حيوي:** المضادات الحيوية الكيماوية مضرّة جداً إذا أكثرت من استعمالها، ولكن المر مفيد كمضاد حيوي، وله فوائد أخرى كثيرة، وليس له أي مضار، فاستخدموه عند الحاجة كمضاد حيوي تجدوه عند العطّارين ومحلات التداوي بالأعشاب.

11 - **احرص على متابعة نوع الشامة على الجلد:** تشير الأبحاث إلى أن القدرة على ملاحظات التغيّرات التي تطرأ على الشامات المختلفة على الجلد تزداد بنسبة 13 ٪، وأن الحرص في ملاحظتها يجنب الإصابة بالسرطان.

12 - **نظافة الأسنان:** احرص على تفادي ترطيب فرشاة الأسنان بالماء قبل وضع المعجون عليها، إذ إن الفرشاة الجافة تزيد من إمكانية التخلّص من البلاك بنسبة 67 ٪.

13 - **النوم بشكل أفضل:** تناول التفاح لمكافحة الأرق، وللنوم بشكل عميق، فالنوم يساعد على مكافحة الشيخوخة المبكرة والاحتفاظ ببشرة شبابية.

14 - **استخدم الخل دائماً:** الخل، وخاصة خل "التفاح"، من أفيد المواد للجسم، وفوائده لا تحصى، استخدموا ملعقة صغيرة مع السلطة يومياً.

15 - **شرب الشاي الأخضر**: ينصح بتناول كوب من الشاي الأخضر يومياً، والذي يمنع التأكسد في خلايا الجسم، ويخفف من إمكانية حدوث السرطان، ولنتائج أفضل اشربوه مركّزاً من دون سكّر.

16 - **تناول السمك مرة في الأسبوع**: على الرغم من أن الاختصاصيين يوصون بتناول حصتين من السمك أسبوعياً، إلاّ أن تناول حصة واحدة يمكن أن تساعد على تحسين توازن المواد الكيميائية الدماغية، والسمك مفيد لصحة القلب والدماغ.

17 - **حبة تفاح كل يوم تجنبك الطبيب**: نصيحة قديمة ولكنها صحيحة فعلاً، التفاح مفيد جداً، تعوّدوا على تناول تفاحة يومياً، وسوف تلاحظون تحسناً في صحتكم.

18 - **الإكثار من تناول الفاكهة**: تناول الفاكهة الطبيعية بين الوجبات، فهي تساعد على الهضم، وتخلص الجسم من السموم والشوائب.

19 - **زيت الزيتون صيدلية متكاملة**: زيت الزيتون من أغرب المواد الطبيعية التي لها فوائد لا تحصى، فحافظوا عليه يومياً؛ شرباً ودهناً.

20 - **تناول قطعتين من الشوكولاتة يومياً**: إذ يؤكد الخبراء أن الشوكولاتة تُبعد عنك فقر الدم وتحسن المزاج.

21 - **لا لحمل الأغراض الثقيلة**: ابتعد عن حمل أي حقائب ثقيلة؛ كي لا تؤثر على العمود الفقري، أو على طريقة الوقوف والسير بشكل سلبي.

22 - **الانتباه للون اللسان**: يمكن للون اللسان أن يكون مؤشراً لمشكلات صحية، لذا احرص على النظر في لونه واكتسابه لأي لون مختلف، فاللون الأبيض يدل على ضعف في جهاز المناعة، واللون الأصفر

يدل على الإفراط في الطعام والشراب، والأحمر في طرف اللسان يعتبر مؤشراً على الإجهاد النفسي.

23 - **التنزّه خارج المنزل**: التغيير والخروج عن الروتين اليومي يساعد في رفع المعنويات، والابتعاد عن التوتر والاكتئاب؛ إذ يجب إعداد برنامج للتنزّه خارج المنزل، وزيارة الأهل والأقرباء والأصدقاء.

24 - **نظافة الجسم والملابس**: قد لا ترى بالعين المجردة ما يحمله جسمك أو تحمله ملابسك من الميكروبات، ولكن تغييرها ونظافتها يمنع الإصابة بأي جراثيم وميكروبات خفيفة، خاصة مع حرارة الطقس. والنظافة من الإيمان.

40 طريقة لجعل حياتك أفضل

1- خصص من وقتك 10 إلى 30 دقيقة للمشي.. وأنت مبتسم.

2- اجلس صامتاً لمدة 10 دقائق يومياً.

3- خصص لنومك 7 ساعات يومياً.

4- عش حياتك بثلاثة أشياء: الطاقة+ الحماس+ العاطفة.

5- العب ألعاباً مسلية يومياً.

6- اقرأ كتباً أكثر من التي قرأتها من السنة الماضية.

7- خصص وقتاً للغذاء الروحي: صلاة، تسبيح،..

8- اقض بعض الوقت مع أشخاص أعمارهم تجاوزت السبعين عام، وآخرين أعمارهم أقل من 6 أعوام.

9- احلم أكثر خلال يقظتك.

10- أكثر من تناول الأغذية الطبيعية، واقتصد من الأغذية المعلبة.

11- اشرب كميات كبيرة من الماء.

12- حاول أن تجعل 3 أشخاص يبتسمون يومياً.

13- لا تضيع وقتك الثمين في الثرثرة.

14- انسَ الماضي، ولا تذكّر شريك حياتك بأخطاء قد مضت، لأنها سوف تسيء للّحظات الحالية.

15- لا تجعل الأفكار السلبية تسيطر عليك.. ووفر طاقتك للأمور الإيجابية.

16- اعلم بأن الحياة مدرسة.. وأنت طالب فيها.. والمشاكل عبارة عن مسائل رياضية يمكن حلها.

17- كُلْ إفطارك كالملك.. وغداءك كالأمير.. وعشاءك كالفقير..

18- ابتسم.. واضحك أكثر.

19- الحياة قصيرة جداً.. فلا تقضها في كره الآخرين.

20- لا تأخذ (جميع) الأمور بجدية.. كن سلساً وعقلانياً.

21- ليس من الضروري الفوز بجميع المناقشات والمجادلات.. (حاول أن توافق على الخطأ).

22- انسَ الماضي بسلبياته، حتى لا يفسد مستقبلك.

23- لا تقارن حياتك بغيرك.. ولا شريك حياتك بالآخرين..

24- الوحيد المسؤول عن سعادتك (هو أنت!!).

25- سامح الجميع من دون استثناء.

26- ما يعتقده الآخرون عنك.. لا علاقة لك به.

27- أحسن الظن بالله.

28- مهما كانت الأحوال.. (جيده أو سيئه) ثق بأنها ستتغير.

29- عملك لن يعتني بك في وقت مرضك.. بل أصدقاؤك.. لذلك اعتن بهم.

30- تخلص من جميع الأشياء التي ليس لها متعة أو منفعة أو جمال.

31- الحسد هو مضيعة للوقت (أنت تملك جميع احتياجاتك).

32- الأفضل قادم لا محالة.

33- مهما كان شعورك.. فلا تضعف.. بل استيقظ.. وانطلق..

34- اعمل الشيء الصائب دائماً.

35- اتصل بوالديك.. وعائلتك دائماً.

36- كن متفائلاً.. وسعيداً..

37- أعط كلَّ يوم.. شيئاً مميزاً وجيداً للآخرين..

38- احفظ حدودك..

39- عندما تستيقظ في الصباح.. وأنت على قيد الحياة.. فاحمد الله على ذلك..

40- ابعث هذه الرسالة إلى كل من تحبهم..

انظر إلى يومك على أنه لوحة فنان بيضاء... فإذا عشت يومك بسلبية متقبلاً كل ما ينثره الناس والظروف على لوحتك... فسوف تجد -في الغالب- على لوحتك فوضى... وليس فناً كما هو المفترض أن يكون.

كيف تجعل ابنك يحبك؟

22 وسيلة نقدمها لك.

لا شك أن إشاعة الحب داخل المنزل من أعظم الأسباب التي تمنح الأبناء والبنات الاستقرار النفسي، وسأضع لكم هنا بعض الوسائل العملية التي تساهم في تحقيق ذلك. الخطاب هذا للابن والبنت:

1. التصريح بلفظ الحب؛ «أنا أحبك يا ولدي... يا بنتي».
2. شراء هدية يحبها الابن، ولتكن مفاجأة له.
3. تقبيله في فترات مناسبة؛ عند النوم، عند القدوم من السفر، في لحظات الفرح.
4. تناول وجبة عشاء مع الابن في مطعم جميل.
5. ممارسة الألعاب معه.
6. إطلاق ألفاظ الثناء والتحفيز الإيجابي؛ «أنا معجب بك، أنا سعيد لأنك جيد في دراستك».
7. تقدير مواعيده الخاصة، وعدم التفريط فيها.
8. النوم معه في غرفته بعض الأيام، وسرد القصص والأخبار معه قبل النوم.
9. مشاهدة بعض الألعاب معه.
10. حكاية القصص المناسبة له في الأوقات المناسبة.
11. التسوق معه.
12. مراسلته بالجوال برسائل عاطفية وجميلة.
13. إخباره بأنك تدعو له في صلاتك.

14. مساعدته في تركيب ألعابه أو أغراضه الخاصة.
15. وضع اليد على كتفه وملاطفته عند الحوار.
16. الثناء عليه أمام زملائه.
17. تقدير أصدقائه إذا كان معهم وملاطفتهم.
18. شراء ما يحبه من الألعاب.
19. التخطيط معه لبناء مستقبله.
20. خذه في بعض رحلاتك وزياراتك لأصدقائك.
21. الوقوف بجانبه عند مرضه والتفاعل معه.
22. مواساته في أوقات حزنه.

كيف تسعد زوجتك؟

..إليك هذه الخطوات:

1- هل تعلم أن استخدام اللغة الصامتة والانبساط على وجهك عندما تكون في المنزل لها فعل السحر في أهل بيتك.. فالبعض يعتبر التكشير والامتعاض نوعاً من أنواع الوقار، ولكن في الحقيقة هو بذلك يبعد الجميع عنه، خاصة زوجته وأولاده.

2- كلمة إعجاب تشجعها كثيراً، تجعلها تهتم أكثر بنفسها؛ ملابسها، شكلها.. فكلما استمررت أنت في تقديم كلمات الإعجاب ظلت هي محتفظة بجمالها ورونقها وهندامها.

3- النظرات المعبرة كافية في كثير من الأحيان عندما تحمل معنى الحب أو الحنان أو الإعجاب.

4- لاحظ مزاج زوجتك؛ فإذا وجدت أن بها تغيراً ملحوظاً فاسألها في حنان واهتمام: «ما بك؟ ألاحظ أنك متعبة.. متغيرة.. هل هناك ما تشكين منه؟» تأكد أن هذه الكلمات، مع نبرة صوتك الحانية، قد تقلب تكشيرتها رأساً على عقب.

5- من الجميل أن تتغزل بجمال زوجتك، ولكن الأجمل أن تتغزل بعقلها وتفكيرها وأحاسيسها ومشاعرها.

6- إذا أردت أن تمتلك قلب امرأتك فحدثها كل يوم عن شيء جديد اكتشفته فيها.

7- يردد البعض مقولات مثل: وإذا كانت زوجتي ليست جميلة ماذا أقول لها؟ وللرد على هؤلاء: إن «الجمال ليس جمال الشكل بل جمال الروح»، وإن العيون هي مصدر الإحساس بالجمال، فالعين الجميلة ترى كل الأشياء جميلة، وهناك عيون ترى حتى الجميل قبيحاً.

8- استخدم كلمة «شكراً»، فمع أنها كلمة واحدة فإنها تكفي في موقف قد يستدعي ذلك، فما المانع أن تقولها لزوجتك عندما تقدم لك الشاي أو عندما تجدها متعبة وهي تعد لك الطعام؟

9- أعرف أنك متعبة ومجهدة.. سامحيني على عدم مساعدتي لك، جملة تذيب كثيراً من الاحتقان والنقمة على العيش بطريقة مجهِدة، ما بين متطلبات العمل ومتطلبات الزوج والأولاد والمنزل.

10- قرر أن تدخل المطبخ -ولو مرة واحدة في الشهر- وقم بإعداد وجبة العشاء، تأكد أن الجميع سيتسابق على مساعدتك، وسوف تخلق روحاً جميلة من المرح داخل المنزل هذا اليوم.

11- إذا كنت مقدراً لما مرت به زوجتك الفترة الأخيرة من تعب، فما المانع أن تعود إليها بوردة جميلة مع كلمة تقدير لما بذلته؟ فزوجتك لا تريد أن تبتاع لها «ألماساً»، ولكن مجرد الاهتمام بأن تحضر شيئاً، ولو بسيطاً له مفعول أكيد، وهو بنظر المرأة طلب إنساني تستحقه.

12- في بعض المناسبات -ولو مرة واحدة في العام- لا تبخل بأن تحضر لها هدية ثمينة وقيمة.

13- لا تنسَ أبداً عيد ميلادها، فهي المناسبة الوحيدة الخاصة التي ما زالت تحتفظ بها.

14- لا تنسَ المناسبات المهمة المشتركة بينكما؛ كعيد زواجكما، أول يوم رأيتها فيه، يوم معرفتكما بقدوم طفلكم الأول، ويكفي أن تقول لها عندما تستيقظ من النوم: كل عام وأنت بخير.

وفي النهاية؛ تأكد أيها الزوج أنه ببعض الجهد البسيط سوف تحيل كل الغضب والتعب إلى حب وحنان يحيط جدران منزلك ويحميه.

كلمة أخيرة

أخي القارئ الحبيب إني أحبك في الله، وأشكر اهتمامك وقراءتك لهذا الكتاب، ولاتنس أن قراءة ألف قصة لن تغنيك عن عمل واحد، فأرجو أن تتحول هذه القصص والرسائل والنصائح التي قرأتها إلى برامج عمل؛ من أجل أن تكون حياتنا أسعد وأنجح، ونعمل معاً على إصلاح هذه الأرض بالعمران والأعمال الصالحة في المجالات كافة، وليكن أحد أعمالك هو أهداءك هذا الكتاب لصديق أو قريب، لعله يكون بحاجة ماسة إليه، فتكون قد ساهمت بنشر الخير والعلم بين الناس، ولا تنس أن الدال على الخير كفاعله. ولنعمل معاً على نشر الثقافة الهادفة بين الناس، وليكن شعارنا جميعاً «الكتاب أفضل هدية لجميع المناسبات»، لكي نعيد لبلادنا العلم والثقافة والتقدم، والمحبة والتعاون، وما التوفيق إلا من عند الله..

محسن جبار

الفهرس

